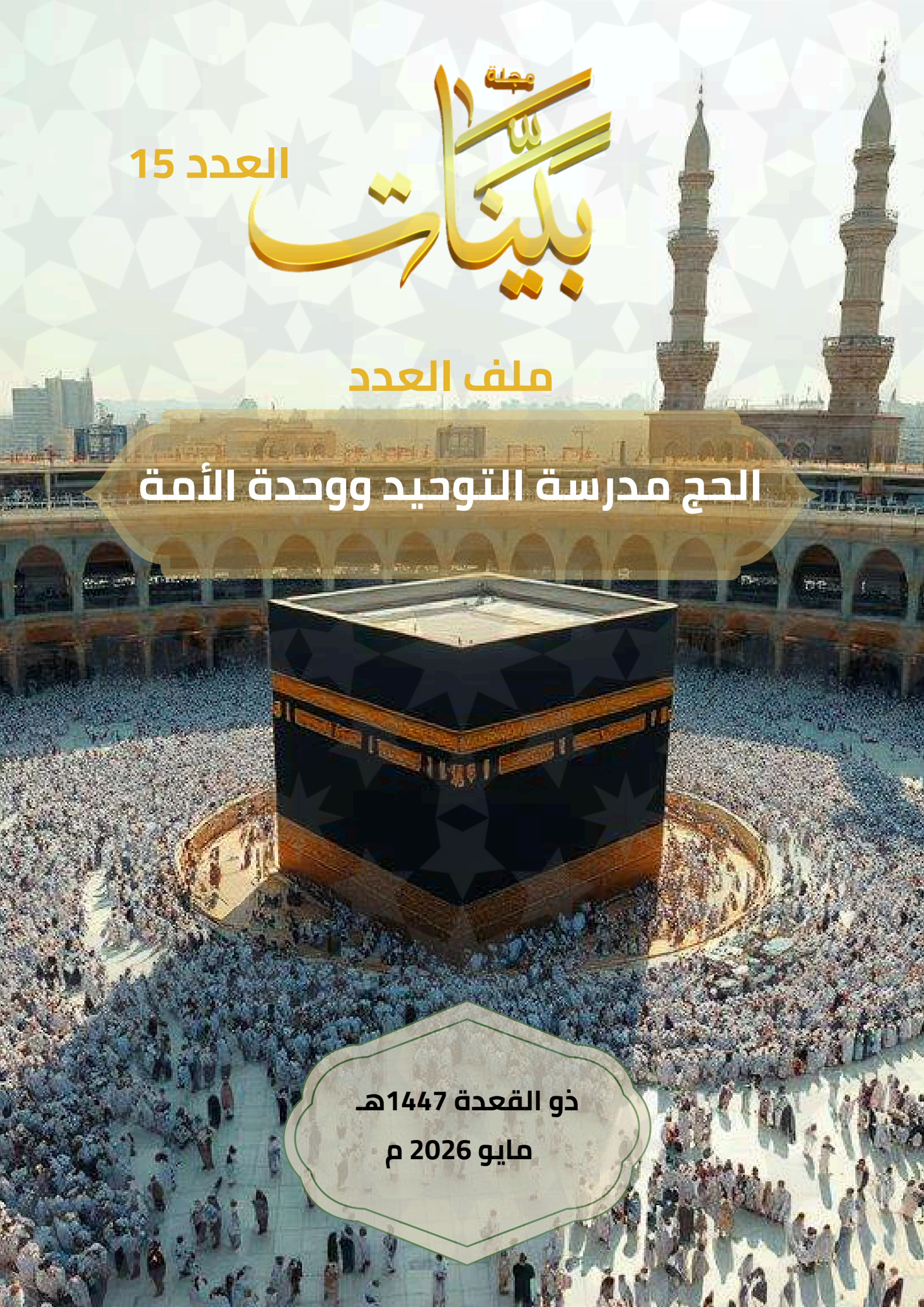
مجلة
بيّنات
العدد 15
ملف العدد
الحج مدرسة التوحيد ووحدة الأمة
ذو القعدة 1447هـ
مايو 2026 م

تصدر عن اللجنة العلمية في رابطة علماء المسلمين

رابطة علماء المسلمين
Muslim Scholars Association

العدد 15

تصميم وإخراج القسم الإعلامي

موضوعات العدد

الافتتاحية..... 4

الحج المقاصد والعبر..... 5

د. حسن سلمان

التنبيهات العشر في أيام وليالي العشر..... 18

د. قاسم العصيمي

مواقيت الحج وضبط بوصلة التعبد.....25

الشيخ/ عبدالله الحسيني

عشر قواعد في الحج..... 20

أ.د علاء الدين الزاكي

العشر من ذي الحجة أعظم مواسم الطاعات..... 31

الشيخ / عارف بن أحمد الصبري

موضوعات العدد

من مقاصد الحج..... 34

د. محمد يسري إبراهيم

الحَجُّ وَالجِهَادُ بَيْنَ الإِقَامَةِ وَالحِمَايَةِ..... 42

د. محمد عبدالكريم

الحج شعيرة تؤسس لنهضة الأمة..... 48

الشيخ / مضر أبوالهيجاء

إشراقات مقاصدية في ضوء آية سورة الحج:
{لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ}..... 52

د. هشام السنوسي

إلى عرفات الله يا خير زائر..... 58

أ. أحمد شوقي " رحمه الله "

الافتتاحية

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ عبدِه ورسولِه، المبعوثِ رحمةً للعالمين .

أما بعد؛

فيسرُّ مجلةُ بينات أن تُطلَّ على قرّائها الكرام في هذا العدد المبارك المتزامن مع أيامِ العشرِ الأوائلِ من ذي الحجة، تلك الأيام التي عظَّمها اللّٰه تعالى، ورفع قدرَها، وجعلها موسمًا للطاعةِ والبذلِ والتقرّبِ إليه سبحانه. وهي أيامٌ تستيقظُ فيها معاني العبودية، وتتوجّه فيها القلوبُ إلى بيت اللّٰه الحرام، حيث تتجلّى وحدةُ الأمة في أعظم مشاهدها، حين تجتمعُ على قبلةٍ واحدةٍ وشعيرةٍ واحدةٍ وغايةٍ واحدة.

غير أن هذه المعاني الإيمانية العظيمة تأتي هذا العام والأمة تمرُّ بظروفٍ بالغةِ القسوةِ والاضطراب، في ظلِّ صراعاتٍ متشابكةٍ وأحداثٍ متلاحقةٍ تعصفُ بعددٍ من بلاد المسلمين، حتى غدا كثيرٌ من أبناء الأمة متفرجين على وقائعَ تُصاغُ في أوطانهم، وتُدارُ فوق أرضهم، بينما يتراجع حضورُهم في صناعة القرار والتأثير في مجريات الأحداث.

وفي خضمِّ هذا الواقع المؤلم، يبرز الحجُّ بما يحمله من دلالاتٍ عميقةٍ على وحدة الأمة واجتماع كلمتها، لا بوصفه شعيرةً فرديةً فحسب، بل باعتباره مدرسةً إيمانيةً تُعيد للأمة وعيَها بذاتها ورسالتها.

فحين يتجرّد الحجيج من الفوارق والألقاب، ويلبسون لباسًا واحدًا، فإنهم يقدّمون صورةً حيّةً للأمة التي تستطيع – إذا عادت إلى ربها، ووحّدت كلمتها، وأحيت معاني المسؤولية فيها – أن تستعيد مكانتها وشهودها الحضاري.

إن أمتنا اليوم أحوج ما تكون إلى تجاوز حالة التفرّج والعجز، والانتقال إلى وعيٍ يُدرك أن حفظ الدين والأوطان والمقدسات لا يتحقق بالأماني، وإنما ببناء الإنسان، وإحياء الإيمان، وترسيخ الوعي، وجمع الكلمة، وإعداد أسباب القوة في مختلف ميادين الحياة.

وإن مجلة بينات، وهي تواكب هذه الأيام المباركة، تأمل أن يكون هذا العدد إسهامًا في تعزيز الوعي الشرعي والفكري، وربط مواسم العبادة بمعاني النهضة والمسؤولية، حتى تبقى هذه الأمة حيّةً برسالتها، قادرةً على النهوض من جديد، مستمسكةً بدينها، واعيةً بواقعها، واثقةً بوعد ربها سبحانه وتعالى.

الحج...
المقاصد والعبر

د. حسن سلمان

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الأمين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .
من المسلمات الشرعية أن الإسلام يقوم ويتأسس بنيانه على الأركان الخمسة المعلومة لدى جميع المسلمين ومنها ركن الحج الذي يعتبر الركن الخامس في الإسلام ومن الواجب شرعا على المكلفين معرفة أحكام الشرع في كل شعيرة قبل القيام بها وكافة أحكام الشرع لها مقاصد وحكم وعلل علمها من علمها وجهلها من جهلها وكلما كان المكلف عالما بمقاصد الشارع في الشعيرة المحددة كان أحرص على الإتيان بها على الوجه المقصود موافقة لمراد الشارع في التشريع والحرص على تنفيذ أحكامها كما أمر بها

الشارع لأن مقاصد الشارع مبثوثة بين الأحكام وحرصا منا على معرفة مقاصد الحج تكميلا لمعرفة أحكام فقه الحج التي نجدها في كافة كتب الفقه نكتب هذه الورقات عسى اللّٰه أن ينفع بها الحجاج لبيت اللّٰه الحرام .

تعريف الحج ومشروعيته :

الحج لغة : القصد وشرعاً : هو القصد إلى بيت اللّٰه الحرام بنية التعبد لله تعالى في الأشهر الحرم لأداء الركن الخامس في الإسلام وهو فرض مكتوب وثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة قال تعالى: {وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً} [1] وقول النبي صلى اللّٰه عليه وسلم :(بني الإسلام على خمسة ..... وحج البيت من استطاع اليه سبيلاً) رواه البخاري ومسلم.

و أجمعت الأمة على أن الحج ركن من أركان الإسلام ومن جحده فهو كافر بالإجماع .

الحج : المقاصد والعبر:

1.تحقيق التوحيد ونبذ الشرك :-

وهو أهم المقاصد العظيمة من شعيرة الحج في كل أحكامه, وهو الأساس الأول لبناء البيت الحرام , قال تعالى: {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ } [2] وقال تعالى:{ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ{35} رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ{36} رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ{37} [3]

---

[1] - سورة آل عمران الآية 97
[2] - سورة الحج الآية 26
[3] - سورة إبراهيم الآية (35—37)

ومن تأمل الأحكام وجد التوحيد متجسداً في كل المواقف فمثلاً:-

- التلبية ودلالات التوحيد .(لبيك لا شريك لك)
- قراءة الإخلاص والكافرون في ركعتي الطواف.
- التهليل عند صعود الصفا والمروة في السعي.
- الأدعية في عرفات ومزدلفة وكافة المناسك .

ومن خلال عقيدة التوحيد تتشكل الفكرة المركزية الجامعة لهذه الحشود الكبيرة من المسلمين لتقف في مشهد واحد وعلى صعيد واحد, وما أحوج الأمة إلى الفكرة المركزية التي تتمحور حولها حتى يعود لها مجدها وذكرها.

2.تحقيق التسليم والانقياد:-

قال تعالى :{رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } [1] , إن من أهم وأعظم الدروس التي يستفيد وينتفع بها المكلف من مناسك الحج درس التسليم والانقياد لكثير من الأمور التي ربما لا يعلم حكمتها أو المقصود منها, لكن يأخذها على سبيل تنفيذ الأمر الشرعي، حتى ولو خفيت الحكمة منها, وهنا نقف على مقولة عمر بن الخطاب وهو يقبل الحجر الأسود ويقول: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك) يقول ابن حجر رحمه الله في قول عمر (وفي قول عمر هذا التسليم للشارع في أمور الدين، وحسن الإتباع فيما لم يكشف عن معانيها, وهو قاعدة عظيمة في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم فيما يفعله ولو لم يعلم الحكمة فيه) فتح الباري (3/463),

---

[1] - سورة البقرة الآية (128)

ويقول الإمام اسماعيل الأصفهاني رحمه الله: (ومن مذهب أهل السنة: أن كل ما سمعه المرء من الآثار مما لم يبلغه عقله فعليه التسليم والتصديق والتفويض والرضا, لا يتصرف في شيء منها برأيه وهواه)[1] , ويقول ابن القيم في قاعدة التسليم (إن مبنى العبودية والإيمان بالله وكتبه ورسله على التسليم, وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة في الأوامر والنواهي والشرائع....) [2] , والقاعدة في عموم العبادات التسليم والتوقف دون الخوض في العلل والحكم, على خلاف المعاملات بالرغم من أن كثير من العبادات معلومة الحكم والعلل, وممن ذهب إلى ذلك ابن القيم, وتقوم العبادة على ركنين هما:-

- غاية المحبة وكمالها .
- غاية الذل والخضوع والانقياد.

يقول تعالى: {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً } [3] وقال تعالى: {فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ } [4] وهي آية تتوسط أحكام الحج وتعبر عن مقصوده الأكبر.

3.تعظيم الشعائر والحرمات :-

ومن دروس الحج ومقاصده الهامة تعظيم الشعائر والحرمات تنفيذاً لأمر الله تعالى ويبدأ ذلك بمجرد الدخول في الإحرام حيث يحرم الحاج على نفسه كل ما كان حلالاً عليه قبل الإحرام من طيبٍ وحلقٍ ونساءٍ وصيدٍ وغير ذلك من المحظورات.

---

[1] - الحجة في بيان المحجة(2/435)
[2] - الصواعق (4/ 1560—1561)
[3] - سورة النساء الآية(65) .
[4] - سورة الحج الآية (34) .
[5] - سورة الحج الآية(30).

كما أن الحاج يقبل على الحج وهو معظماً لنداء الرحمن بالاتجاه إلى بيته الحرام, والتحرك في كافة المناسك ذاكراً لله شاكراً له, قال تعالى بعد أن ذكر بعض أعمال الحج{ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ}[1] وقال أيضاً {ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ } [2] فالحرمات عند الحاج معظمة لشرف المكان والزمان والشعائر أجرها مضاعف كذلك , ويقول ابن القيم (وروح العبادة هو الإجلال والمحبة فإذا تخلى أحدهما عن الآخر فسدت)[3] .

4.تحقيق محبة الله بمتابعة النبي صلى الله عليه وسلم :-

إن محبة الله تعالى لا تتحقق على وجهها المشروع إلا باتباع النبي صلى الله عليه وسلم وفي ذلك يقول الله تعالى: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } [4] , وتعلم المسلمون كيفية الحج على التفصيل من خلال حجة النبي صلى الله عليه وسلم التي قال فيها(خذوا عني مناسككم) صحيح الجامع, فمن أخذ بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحج فقد أخذ بحظ وافر وحقق المتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم وبذلك يحقق محبة الله وذلك لأن المحبة أمر قلبي والدلائل عليها الأعمال الظاهرة.

قال الشاعر:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس شنيع

إن كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

---

[1] - سورة الحج الآية(30).

[2] -سورة الحج الآية (32).

[3] - المدراج(1/495).

[4] - سورة آل عمران الآية(31)

5.الحج ذكرى بالمصير الأبدي :-

ومن العبر المستفادة من سفر الحج والاستعداد له , سفر الآخرة وما يحتاجه من الزاد, وهو ما يلمسه الحاج من الوهلة الأولى التي يفارق فيها أهله ويودع اصحابه ويجرد نفسه من هموم الدنيا مقبلاً بكليته إلى اللّٰه قاصداً بيته الحرام فيخلع عنه ثيابه العادية ويلبس ثياباً جديدة أشبه ما تكون بالكفن , ثم يدخل في التلبية كأنه خرج من القبر ملبياً نداء ربه في أرض المحشر, ويظهر الموقف العظيم يوم عرفة حيث يحشر الناس جميعاً في مكانٍ واحدٍ, وفي لباس واحد وفي زمان واحد, يدعون رباً واحداً وهناً مظهر عظيم يباهي اللّٰه بعباده الملائكة.

وهنا تبرز قيمة ودلالة قوله عليه السلام (الحج عرفة) رواه أبوداود والنسائي , لأن موقف عرفة والانتظار فيه يذكر بالموقف العظيم الذي تدنوا فيه الشمس من الرؤوس وينتظر فيها الخلائق الانفضاض, ويبحثون فيه عن الشفعاء فلا يجدون إلا محمداً صلى اللّٰه عليه وسلم وكأن لحظة الإفاضة من عرفة هي لحظة الانفضاض من الموقف العظيم فلله ما أعظم هذا الموقف عبرة وعظة, وأعظم زاد في هذه المسيرة هو زاد التقوى , قال تعالى{وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ }[1] .

6.تحقيق الأخوة الإيمانية والوحدة الجامعة بين المؤمنين :-

إن شعيرة الحج من أعظم ما يحقق الأخوة الإيمانية حيث تتلاشى كافة الفوارق العرقية والإقليمية واللغوية والطبقية والوظيفية ويقف الناس جميعاً العرب والعجم والأغنياء والفقراء على صعيد واحد بأحكام واحدة تسري على الجميع

---

[1] - سورة البقرة الآية 197

وهنا نستعيد ذكرى خطبة النبي صلى الله عليه وسلم التي أعلن فيها المساواة الإنسانية وإنهاء الفوارق الجاهلية ليجعل من التقوى فقط معيار المفاضلة, ويجعل من إرداف اسامة بن زيد نموذجاً لهذه المساواة , فلما أهدى إليه أحد الزعماء بردته الخاصة أهداها النبي صلى الله عليه وسلم على رؤوس الأشهاد لأسامة مما دل على المساواة الكاملة بين كافة البشرية وكان ذلك العام عاماً للحرية والتحرير للعبيد, حيث أعلن أكثر العرب إعلان التحرير لعبيدهم لما رأوا من مشاهد التحرير الكبرى في الحج , وما أعظمها من سجايا وقيم كرمت الإنسانية وأخرجتها من دوائر الطبقية الجاهلية وتفاوتها وبهذا يكون الحج مؤتمراً إسلامياً عالمياً جامعا ويستفاد منه في وحدة الأمة ونهضتها.

7.البراءة من المشركين :-

إن الحج فريضة توحيدية منذ أن شرع , وكلما انحرف الناس بها من التوحيد إلى الشرك جاءت الشرائع لإعادتها إلى روحها الحقيقية, بل وجاءت لمخالفة ما كان عليه أهل الشرك من مناسك تخالف التوحيد, ولذلك يقول ابن القيم: (استقرت الشريعة على قصد مخالفة المشركين لا سيما في المناسك)[1] , ونلمس هذه المخالفة فيما يلي :-

- الخلاف في التلبية فكانت تلبية المشركين :(إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك) رواه مسلم .

بينما وردت تلبية التوحيد:(لبيك لا شريك لك) رواه مسلم

- تحريم الطواف بالبيت من غير سترة, فقد كان الناس في الجاهلية يطوفون عراة إذا لم يجدوا ملابس بمواصفات محددة من قريش.

اليوم يبدوا كله أو بعضه وما بدى منه فلا أحله

[1] -تهذيب السنن (3/309)

- الإفاضة من عرفات على خلاف قريش التي كانت تفيض من أطراف الحرم مخالفة بذلك بقية الحجاج ومكرسة لمفهوم الفوقية القرشية على سائر الناس.
- الإفاضة من عرفات بعد الغروب خلافاً للمشركين الذين كانوا يفيضون قبل الغروب .
- الدفع من مزدلفة بعد طلوع الشمس خلافاً للمشركين الذين كانوا يندفعون قبل طلوع الشمس.
- إبطال النبي صلى الله عليه وسلم لعوائد الجاهلية ورسومها كما في خطبة حجة الوداع (كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع)[1] , ويقول ابن تيمية في ذلك (وهذا يدخل فيه ما كانوا عليه من العادات والعبادات)[2] .

8.الحج تربية وتزكية وتحقيق للمراقبة :

إن المتأمل للأحكام الشرعية الإيمانية والتعبدية يلاحظ أنها ترتكز على ثلاثة أنواع من المراقبة :-

- رقابة ذاتية مكانها القلب والدواخل فالإنسان رقيب نفسه.
- رقابة مجتمعية يفرضها المجتمع من حولنا .
- رقابة إلهية فوقية يستشعرها العبد المؤمن .

قال تعالى: {وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }[3] والحج يحقق الرقابة في أعلى صورها فالإنسان رقيب نفسه قبل كل شيء، وينظر إلى الرقابة الإلهية التي يسعى جاهداً إلى أن لا يراه الله حيث نهاه ولا يفتقده حيث أمره كما أن رقابة المؤمنين بعضهم لبعض من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإعمال النصح لكل مسلم متوفرة في الحج،

---

[1] - أخرجه مسلم كتاب الحج
[2] - اقتضاء الصراط المستقيم (1/301)
[3] - سورة التوبة الآية 105
[4] - سورة البقرة الآية 197
[5] - سورة الحج الآية 25

قال تعالى: {وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ}[1] والحج تربية للضمائر والدواخل (الجوانية) فقد جاءت الشريعة بتجريم وتأثيم الإرادة القلبية السيئة في الحرم قال تعالى :{وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عذاب أليم}[2]

وأعظم ما يلاحظ في هذا الأمر اختلاط الرجال والنساء في المناسك دون أن يكون هناك مواقع خاصة بالرجال وأخرى بالنساء وخاصة في الطواف بالبيت ومع ذلك تبقى الرقابة ذاتية يراعي فيها الإنسان المراقبة الفوقية (اللّه جل جلاله) قبل كل شيء.

9.التربية الأخلاقية :-

من أعظم الدروس المستفادة من شعيرة الحج ترسيخ التربية الأخلاقية في أبهى صورها على النحو التالي:-

- العفة وترك الفسوق والعصيان : وذلك بالابتعاد عن الجماع والمباشرة وكافة المقدمات المؤدية إليه أو كل ما يؤدي للفواحش والفسوق والعصيان قال تعالى:(فَلاَ رَفَثَ ولا فسوق)[3] .
- كظم الغيظ وترك الجدال والمخاصمة قال تعالى:(وَلاَ جِدَالَ)[4] .
- إنكار الذات والاندماج في المجموع .
- الرفق واللين والسكينة قال صلى اللّه عليه وسلم(أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس بالايضاع ((يعني الإسراع)))[5]
- البذل والسخاء وذلك بدنياً ومالياً.
- التربية على تحمل تبعة الخطأ ويظهر ذلك في الفدية.
- التربية على التواضع وخاصة أصحاب الوجاهات.

---

[1] - سورة البقرة الآية 197
[2] - سورة الحج الآية 25
[3] - سورة البقرة الآية
[4] - سورة البقرة
[5]- رواه البخاري حديث رقم (1671)

- التربية على الصبر، لأن الحج هو نوع من الجهاد الذي لا قتال فيه كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها وكما جاء عن الحسين ابن على رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني جبان، إني ضعيف، فقال صلى الله عليه وسلم (هلم إلى جهاد لا شوكة فيه : الحج)[1].

10.تحقيق الرباط بين الدين والدنيا:-

فإن الحج هو مكان للذكر تهليلاً وتسبيحاً وتحميداً وتكبيراً , كما هو موسم للتجارة وتبادل المنافع الدنيوية في ربط محكم لا تعارض بينه ,قال تعالى : { لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ } [2] .

11.التربية على النظام والانضباط:-

ويظهر ذلك من خلال الضبط الزماني والمكاني والانضباط في الشعائر بمواقيت محددة دون أي خروج عن المطلوبات الشرعية وأن الخروج والمخالفة تترتب عليه أحكام لتلك المخالفات مما يعزز روح الانضباط عامة في حياة الإنسان .

12.التواصل مع الأسلاف وتحقيق الارتباط الوجداني معهم، قال تعالى{وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ }[3] وأن الانتساب إلى إبراهيم من قبل اليهود والنصارى إنما هو ادعاء وأن المسلمين أولى الناس بالانتساب إليه قال تعالى { إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ}[4] .

---

[1] - رواه الطبراني في المعجم الكبير ج/2910 رواته ثقات
[2] - سورة الحج الآية 28
[3] - سورة البقرة الآية 125
[4] - سورة آل عمران الآية 68

- **13.التيسير ورفع الحرج:-**
- بناء الفريضة على الاستطاعة قال تعالى { من استطاع اليه سبيلاً }
- وضع الخيارات في النسك(إفراد – تمتع – قران) حسب أحوال الناس وظروفهم.
- بناء الأحكام كلها على التيسير ورفع الحرج لما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ما سئل عن أمر قدم ولا أخر إلا قال : افعل ولا حرج , كما نلاحظ أن التيسير يتخلل الشعائر كلها فركعتي الطواف تتوسط الطواف والسعي, والتروية يتوسط الطواف و السعي وعرفة, ومزدلفه تتوسط عرفه وما بعدها, والتحلل الأصغر يتوسط التحلل الأكبر والإحرام التام, فإن خلاصة الأمر هو(ساعة وساعة).
- جعل عرفة كلها موقف ومزدلفة كلها مكاناً للمبيت ومنى كلها مكاناً للنحر قال صلى الله عليه وسلم:(وقفت ههنا وعرفه كلها موقف ... وقفت ههنا والمزدلفة كلها موقف .... قد نحرت هاهنا ومنى كلها منحر { وكل فجاج مكة طريق ومنحر }) رواه مسلم .

14.دور الشقائق :-

المرأة مكلفة كما الرجل بشعائر هذا الدين وهي شريكة الرجل في مسيرته القاصدة إلى الله, فهي رفيقة الدعوة والجهاد وهي الشهيدة والمربية, وفي الحج دروس وعبر عظيمة في دور المرأة وصمودها ومكابدتها وصبرها في شعيرة الحج من خلال ركن السعي الذي جاءت النصوص معلمة ومخبرة عن دور أم اسماعيل وحالها وهي تسعى بين الجبلين فقال ابن عباس (فذلك سعي الناس بينهما) رواه البخاري ,

ومن خلال ذلك تبدو أهمية مشاركة المرأة في الحياة الإسلامية ويظهر ذلك في الآتي:-

- الأم سبب عظيم لدخول الجنة لمن أطاعها (الزمها فأن الجنة تحت أقدامها) صحيح الجامع .
- حسن الصحبة ووجوب الاحسان للوالدين والأم خصوصا (وصاحبهما في الدنيا معروفاً) لقمان/ 15.
- أن النساء شقائق الرجال فالمرأة نصف المجتمع وصانعة للنصف الآخر.
- وحدة المسئولية بين النساء والرجال .
- المساواة في النفس الإنسانية.
- مشاركة المرأة في مسيرة الدعوة (فهي أول مؤمنة وأول شهيدة).
- مشاركة المرأة في الحج وجوباً وفي الجهاد استحباباً أو جوازا واباحة بحسب الأحوال
- عدم الزواج إلا برضاها.
- المرأة لها ذمتها المالية المنفردة.
- وظيفة الأمومة والتربية.
- المشاركة في الشأن العام بيعة وشورى وأمراً بمعروف ونهي عن منكر وإقامة للدين .

15.الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة :-

والبر في الشرع يعود إلى معنيين:-

1/ الإحسان إلى الناس وبذل الخير لهم (البر حسن الخلق)[1].

2/ التوسع في الطاعات وخصال التقوى وضده الإثم قال تعالى {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ }[2] .

---

[1] - رواه مسلم ح/2553

[2] - سورة البقرة الآية 44

16.زمزم وهي المعجزة الخالدة ومن الآيات البينات القائمة عند الحرم (فيه آيات بينات) وهي مستمرة حتى قيام الساعة دليلاً على قدرة اللّٰه الباهرة ومعجزته الخالدة .

17.الاستغفار سنة ماضية عند تمام الأعمال الجليلة قال تعالى: {ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}[1] ويكون الاستغفار نهاية كل عمل جليل كالصلاة والزكاة والحج وغيرها لأن العبد لابد له فيها من تقصير واكب عبادته فهو يستغفر اللّٰه لسد الفجوة الحاصلة بين المطلوب والمقدور واللّٰه المستعان .

18. مقامات العبودية :

من خلال تتبع آيات الحج في القرآن الكريم وخاصة الواردة في سورة الحج (34/37) يمكننا الوقوف على مقامات العبودية لهذه الشعيرة العظيمة من شعائر الإسلام وهي خلاصة لما تقدم وما ينبغي أن يبلغه المكلف من مقامات السير إلى اللّٰه تعالى من خلال الأحكام التفصيلية والشعائر المتعددة وهي كلها مندرجة في قوله تعالى : { إياك نعبد وإياك نستعين } ونجملها فيما يلي :

1. مقام التوحيد وهو من أعظم المقامات التي يبلغها الإنسان ويتحلى بها وقد تقدم الحديث عنه قال تعالى : (فإلهكم إله واحد)
2. مقام الإسلام لقوله تعالى :(فله أسلموا) .
3. مقام الإحسان لقوله تعالى :(وبشر المحسنين)
4. مقام الإخبات وحقيقته الخشوع والإذعان والخضوع للحق والخالق جل جلاله والصبر والتواضع للخلق قال تعالى : (وبشر المخبتين) وقد وصفهم اللّٰه بقوله (الذين إذا ذكر اللّٰه وجلت قلوبهم) رقة وخشية وولها , والصابرين على ما أصابهم) ثقة بالله وتوكلا , (والمقيمي الصلاة) أداءً لحق اللّٰه تعالى , (ومما رزقناهم ينفقون) أداءً لحق عباده بمواساتهم وسد حاجتهم .
5. مقام الشكر على نعم اللّٰه التي لا تحصى وهو من أعظم المقامات في مدراج العبودية لله تعالى قال تعالى : { كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون } .

[1] - سورة البقرة الآية 199

التنبيهات العشر في أيام وليالي العشر

د.قاسم العصيمي

الأولى: أن الأعمال الفاضلة على غيرها في ليالي العشر وأيامها المراد به الفرائض فيها أفضل من الفرائض في غيرها, والنوافل فيها أفضل من النوافل في غيرها لا أن النوافل فيها أفضل من الفرائض في غيرها, فليس معنى الحديث أن النوافل فيها أفضل من جهاد فرض العين أو جهاد فرض الكفاية, كما قد يظنه بعض من لم يفهم الحديث, بل ربما تكون الرواتب كالوتر في غير العشر أفضل من النوافل دون الوتر في العشر.

لهذا ينبغي التذكير بالتركيز أولا على فعل الفرائض وترك المحرمات في أيام العشر ولياليها.

الثانية: ليالي عشر ذي الحجة أفضل من ليالي عشر رمضان سوى ليلة القدر لأنه إنما أقسم الله بليالي العشر لا بأيامها .
فإن كانت هي ليالي عشر ذي الحجة كما قاله كثير من العلماء فهي أفضل من ليالي عشر رمضان.
وأيام نهار رمضان أفضل لأنه يؤدى فيها الفرض إلا لمن كان يحج حجة الإسلام فأيام عشر ذي الحجة أفضل بالنسبة له لأنه يؤدي فيها ركن من أركان الإسلام أما أيام عشر رمضان فإنما يؤدي فيها بعض الفرض.
ويبقى الكلام في التفضيل بين النوافل فالحديث يدل على فضل أيام عشر ذي الحجة فالنوافل فيها أفضل من النوافل في أيام رمضان. والله أعلم.
الثالثة: التذكير بواجب التوبة العامة والخاصة في هذه العشر, فالتوبة واجبة في كل وقت وهي تمحو ما قبلها وسياق سورة الفجر يدل عليها (إن ربك لبالمرصاد).
الرابعة: الحذر من محبطات الأعمال كالرياء والعجب وما يؤدي إليهما مثل التحدث بأعماله الصالحة أمام الناس وكان يمكنه أخفاءها.
الخامسة: التحذير من موانع إجابة العمل كأكل الحرام وقطيعة الرحم والتخاصم, لهذا تجب المبادرة إلى الصلة والعفو والتسامح وإرجاع الحقوق.
السادسة: ذكر الله في الأيام المعلومات عشر ذي الحجة من أفضل الأعمال وأيسرها, يستطيعه المسلم في وكل وقت, وفي كل حال, فلنحرص عليه بأنواعه من تلاوة القرآن والتهليل والتكبير والتسبيح والتحميد ونحوها.

السابعة: الحرص على الصدقة والإنفاق في جوه الخير, والحث على التراحم في سائر العام وخاصة في عشر ذي الحجة, لأن ذلك من أسباب النجاة من عذاب الله العاجل والآجل, فالله تعالى يقول في سورة الفجر متوعدا: (كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين).

الثامنة: من أفضل الأعمال الصالحة في عشر ذي الحجة تثبيت وتجديد الإيمان بالله وتأكيد اليقين بدين الله وكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم, وعدم الإصغاء إلى المشككين في ذلك, وتقوية الثقة بنصر الله ووعده, والأخذ بالإسلام كله بقوة وطمأنينة رجاء أن ننال كرامة الله المذكورة في قوله الكريم: (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي), وفي صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي العمل أفضل فقال: إيمان بالله).

التاسعة: الأعمال بالنيات, فلنقصد الخير وإن قصرنا في العمل فبالنية الصالحة الصادقة يُجبر التقصير ويصل العاجز والكسير, بل ربما سبق, لأن النية تسبق العمل, ورب عمل قليل عظمته النية, قال الكريم سبحانه: (إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا).

العاشرة: الدال على الخير كفاعله, ادع إلى الخير من تعرف ومن لا تعرف, وليس شرطا أن تبدأ بنفسك لكنه أفضل, فإنك تعان على نفسك بدعوة الناس إلى الله وتنال بهم الشفاعة في الآخرة ويحصل لك من الأجر مثلهم جميعا, لهذا فأكثر الناس ثوابا هو محمد صلى الله عليه وسلم لتبليغه الخير للناس فهو أكثر الأنبياء تابعا, ثم أكثر هذه الأمة ثوابا هو أبو بكر الصديق لإسلامه ومؤازرة لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم والقيام بها, حتى أسلم على هديه كثير من الناس منهم ستة من العشرة المبشرين بالجنه.

وفقني الله وإياكم لرضاه وأعاننا على تقواه.

عشر قواعد في الحج

أ.د علاء الدين الزاكي

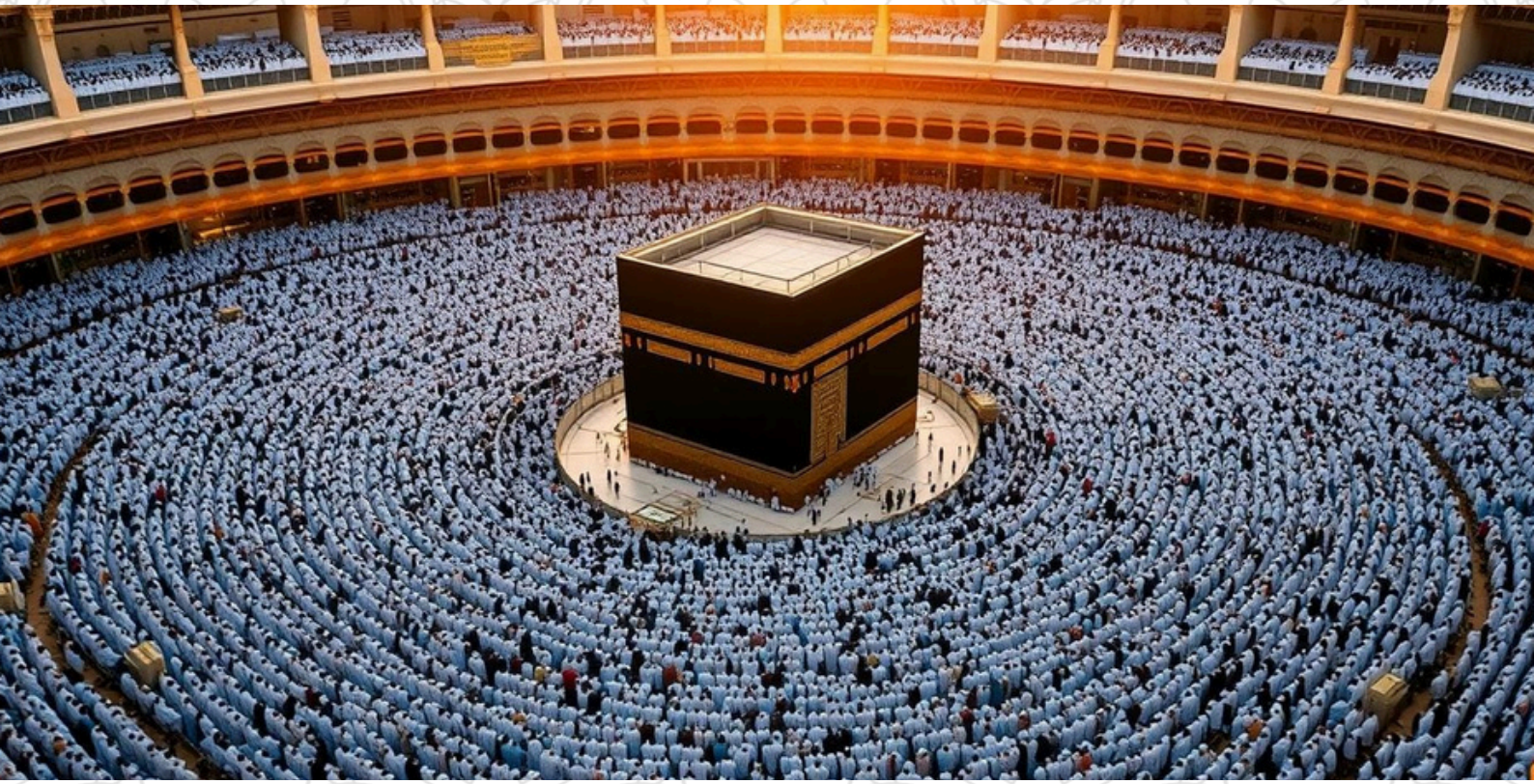

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد :
الحج هو أحد أركان الإسلام الخمسة, ويتضمن مجموعة من القواعد والضوابط التى يجب على الحاج الالتزام بها وهذه القواعد تمثل الخطوات الأساسية لأداء مناسك الحج لتحقيق الفريضة بشكل صحيح.

· القاعدة الأولى : إنما الأعمال بالنيات

الأصل فيها: قوله صلى الله عليه وسلم : (إنما الأعمال بالنَّيَّات وإنما لكل امرئ ما نوى) متفق عليه الإحرام هو النية وليس اللباس, ولابد من التلفظ بها لبيك اللهم .. يذكر النسك إفراد, أو قرآن, أو تمتع مقصد الحاج التقرب إلى الله تعالى وليس التباهي بالحج.

· القاعدة الثانية: ما لا يتم الواجب إلا به

إذا لم يكن في مقدور المكلف فليس بواجب الأصل فيها قوله تعالى: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) آل عمران ٩٧

-الحج واجب بالاستطاعة وهي نفقات الحج

- يسقط عن المكلف بعدمها.

· القاعدة الثالثة: الأصل في العبادات التوقيف

الأصل فيها: قوله صلى الله عليه وسلم : (لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ). أخرجه مسلم.

- الحج عبادة فيلتزم الحاج بما فعله النبي صلى الله عليه وسلم في حجته.

- وشرط قبول الحج أن يفعل فيه ما فعلة النبي صلى الله عليه وسلم.

· القاعدة الرابعة : المشقة تجلب التيسير

- الحج بلا شك فيه المشقة وهي معتادة, ومصاحبة للتكليف, إلا إذا تجاوزت الحد فإنها تجلب التخفيف قال صلى الله عليه وسلم (افعل ولا حرج).

- يجوز عند المشقة خروج النساء والمرضي ومرافقيهم منتصف الليل من مزدلفة.

- ويجوز عند المشقة تقديم أعمال يوم النحر بعضها على بعض كرمي جمرة العقبة قبل الطواف أو العكس، أو الحلق.
- اذا تعذر الهدي عند موجبه انتقل الى صيام عشرة أيام ثلاثة في الحج وسبعة اذا رجع.
- يجوز الرمى قبل الزوال أيام التشريق عند المشقة.
- ويجوز الذهاب إلى منى يوم السابع وإلى عرفة يوم الثامن ليلا عند المشقة.

·القاعدة الخامسة المشغول لا يشغل.

§لا ينشغل الحاج بغير أفعال الحج وما يتعلق بها.
§الذكر هو شغل الحاج في عرفة وفي أيام التشريق.
§لا صوم للحاج سواء في عرفة أو أيام التشريق
§على الحاج الانشغال بالدعاء فله فضل عظيم.

· القاعدة السادسة: الأصل في النهي التحريم.

فيحرم على الحاج بعض الأفعال، وتجبر بالفدية وهي (صيام ثلاثة أيام، أو إطعام ستة مساكين، أو ذبح شاة) ومنها:

-قص الشعر والأظافر.
-مس الطيب.
-لبس المخيط.
-تغطية الرأس.

ويحرم الجماع للحاج وهو مفسد للحج إذا كان قبل رمي جمرة العقبة.

أما إذا جامع بعد رمي جمرة العقبة (أي التحلل الأصغر) فحجه صحيح وعليه دم.

يَحْرُمْ عَقْدُ النِّكَاح على المُحْرِم، ولا يصح.

ويحرم مباشرة النساء بالقبلة أو الضم بشهوة ومن فعل فعليه دم

- القاعدة السابعة الواجبات المؤقتة لا تبرأ الذمة إلا بفعلها في وقتها.

أصل القاعدة :قوله تعالى: (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ).

- أشهر الحج شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، كل أفعال الحج تؤدي فيها.

- وأوقات النسك محددة، التروية يوم ثمانية، عرفة تسعة والنحر والعقبة يوم عشرة وأيام التشريق بعده ثلاثة.

- القاعدة الثامنة : اليقين لا يزول بالشك

الأصل فيها: قوله صلى الله عليه وسلم : (إِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ فَلَمْ يَدْرِ كَمْ صَلَّى ثَلَاثًا أَمْ أَرْبَعًا فَلْيَطْرَحْ الشَّكَّ وَلْيَبْنِ عَلَى مَا اسْتَيْقَنَ) رواه مسلم.

-الشيطان دائما يدخل على الحاج في عبادته بالوسوسة فلا تلتفت إليه.

- إذا شك الحاج في عدد الأشواط في الطواف والسعي بني على الأقل فلو شك ستة أو سبعة بنى على ستة.

- وإذا تيقن السبعة وشك فلا يتلفت إليه.

- وكذا إذا شك في عدد الجمار هل رمى ست او سبع حصيات بنى على الأقل.

- القاعدة التاسعة إذا ضاق الأمر اتسع وإذا اتسع ضاق.

فالرخص تزول بزوال أسبابها.

- فيجوز الرمي قبل الزوال عند المشقة ويزول بزوالها.

- يجوز لمن لم يجد سكنا في مني أن يسكن مكة في أيام التشريق ويزول بوجود السكن.

- يلبس الحاج نعلين فإن لم يجد لبس خُفَّيْنِ، وَلَيَقْطَعْهُمَا أَسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ.

- الوقوف بعرفة الأفضل الجمع بين الليل والنهار اذا تعذر وقف ليلا ولا شيء عليه عند الجمهور.

· القاعدة العاشرة : الواجب المخير فيه سعة للحاج

- يجوز له أن يختار أي أنواع النسك, التمتع القرآن الإفراد.
- يجوز له الاختيار بين أنواع الفدية الثلاث عند موجبها , صيام , أو صدقة , أونسك.
- يجوز للحاج التعجل في أيام التشريق يومين او التأخر لثلاث.

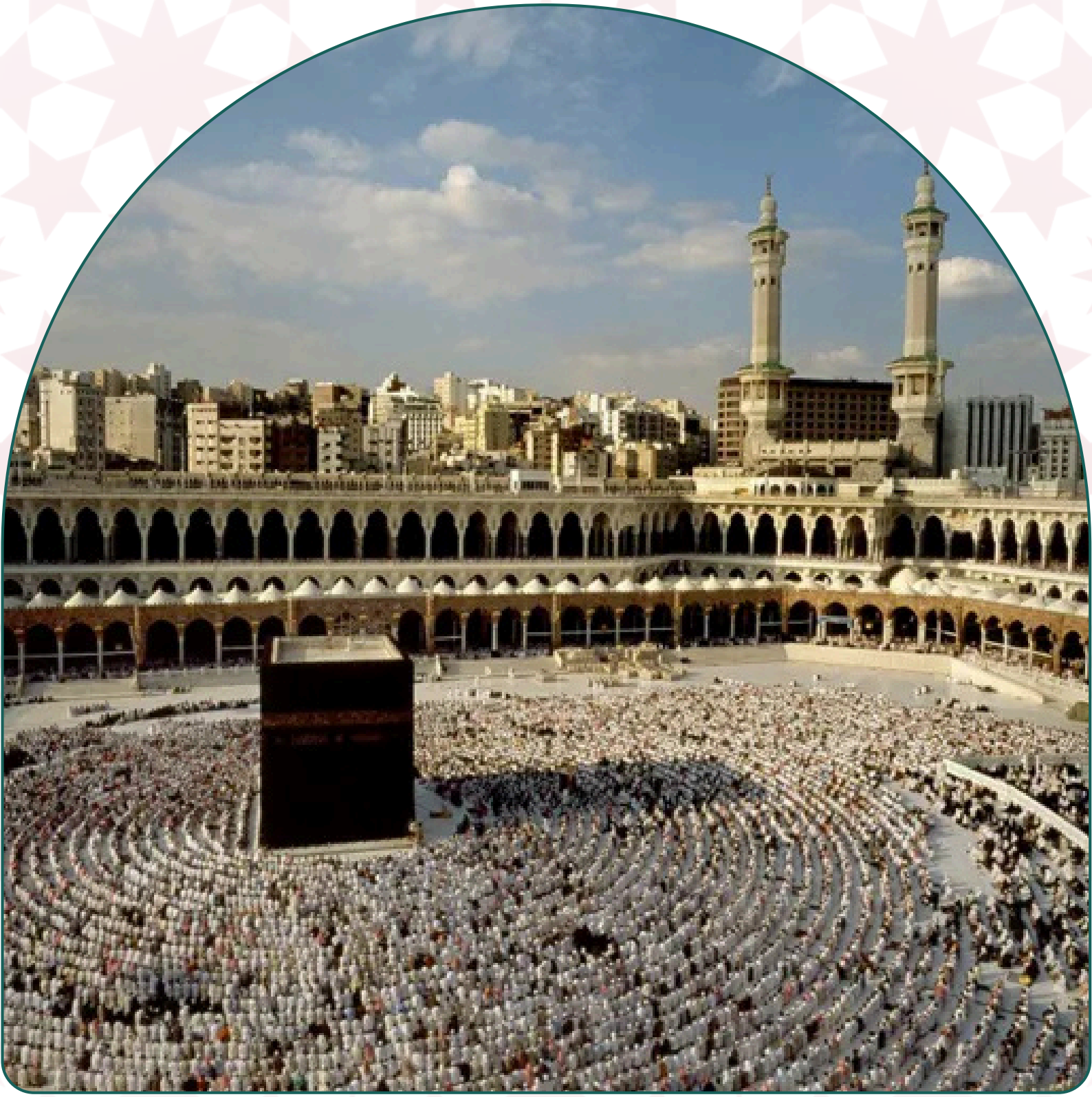

مواقيت الحج وضبط بوصلة التعبد

الشيخ / عبدالله الحسيني

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله الأمين أما بعد:
خلق الله الجن والإنس لعبادته والتزام أمره ونهيه وتحقيق ذلك لن يكون إلا باتباع الشرع المنزل وليس بالأهواء والرغبات كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (جماع الدين ألا نعبد إلا الله, وألا نعبده إلا بما شرع, لا نعبده بالبدع) وقد سخر الله تعالى الكون كله لبني آدم لتحقيق الاستخلاف في الأرض تحقيقا لغاية التعبد قال تعالى:(وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) الذاريات/٥٦
وقد نص العلماء على أن الدين في شقه التشريعي عبادات ومعاملات وأن الأصل في العبادات والشعائر التوقف أي الوقوف عند حدود المشروع دون زيادة ولا نقص, وعدم ابتداع عبادة لم تشرع ولذا فلا نعبد الله إلا بدليل واضح وثابت أو تعليل مبناه على الدليل في كيفية العبادة , وهيأتها وعددها وزمانها ومكانها وصفتها , وهذه القاعدة مطردة في جميع العبادات والشعائر من صلاة وصيام وزكاة وحج ومناسك ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أهمية أخذ أحكام الحج من خلال ما ورد عنه من قول أو فعل أو تقرير (خذوا عني مناسككم) صحيح الجامع.
والحج في حقيقته أركان وواجبات ومستحبات تلتزم ومحرمات ومكروهات تجتنب وكل ذلك بقصد التعبد والتقرب لله تعالى، والمواقيت الزمانية والمكانية هي جزء من أحكام الحج وتتعلق بركن أساس وهو الإحرام ونتناول المواقيت المكانية والزمانية ومدى ضبطها لحالة التعبد والتسليم لله تعالى والذي هو أهم وأكبر مقاصد الحج.

أقسام المواقيت:

تنقسم المواقيت إلى قسمين أساسيين هما:

1/ المواقيت الزمانية:

ويقصد بها الزمان الذي يكون فيه الحج ولا يصح قبله ولا بعده وهذا من حكمة الله تعالى في شأن العبادات فهي مركبة من فعل وزمن وقد جاءت الشرائع بضبط الفعل صفة وتحديد الزمن بوقت منه , وقد دل على ذلك قوله تعالى:(يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ...) البقرة/١٨٩), روى ابن جرير الطبري من حديث سعيد عن قتادة قال سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن الأهلة:(فأنزل الله فيها ما تسمعون (هي مواقيت للناس) فجعلها لصوم المسلمين ولإفطارهم , ولمناسكهم وحجهم , ولعدة نسائهم , ومحل دينهم , في أشياء , والله أعلم بما يصلح خلقه) تفسير الطبري/3/280 , وفي قوله تعالى:(ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ) البقرة/١٩٧ , بيان للتوقيت الزماني المحدد للحج , وهي الأشهر الثلاثة شوال , وذو القعدة , والعشر الأول من ذي الحجة على قول جمهور أهل العلم , خلافا للإمام مالك الذي جعل شهر ذي الحجة كله من أشهر الحج , وهذا بالطبع لا يعني إنشاء نية الحج بعد يوم النحر , لأن الحج لا يمكن تداركه بعد فوات يوم عرفة ولكن ثمرة الخلاف هي في فضل الأعمال و القربات والعمرة في هذه الفترة وفضلها مع اتفاقهم بأن العمرة بعد يوم عرفة لا يكون صاحبها متمتعا .

ويترتب على ما سبق ما يلي:

ـ إن أعمال الحج تقع في هذه المدة الزمنية وبعضها محدد بيوم معين فإذا فات فاتت معه الفريضة مثل يوم عرفة لقوله عليه الصلاة والسلام (الحج عرفة) أخرجه النسائي وغيره.

_المواقيت الزمانية آكد من المواقيت المكانية الخاصة وذلك لأن المواقيت الزمانية عامة لكل الأمم , وأما المواقيت المخصصة مكانيا فهي شرعت لأمة النبي عليه الصلاة والسلام بواسطته.

_من أوجب على نفسه الحج وفرضه فقد وجب عليه اجتناب ما نهى اللّٰه تعالى عنه وفعل ما أمر اللّٰه به والرخص فيما رخص اللّٰه له قال تعالى:(فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج).

_أهمية عقد نية الحج في أشهر الحج (فمن فرض فيهن الحج) وقد اختلف الفقهاء في عقد نية الحج قبل أشهر الحج وانتظار الحج وذهب جمهورهم إلى صحة الإحرام ولكنه خلاف الأولى، خلافا للشافعي الذي يرى عدم صحة الإهلال ونية الحج في أشهره استنادا للآية السابقة وقول ابن عباس رضي اللّٰه عنه (من السنة ألا يحرم بالحج إلا في أشهر الحج) الحاكم وابن خزيمة.

_ومن فرض الحج أي نواه في أشهر الحج وجب عليه الإتمام لقوله تعالى :(وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ) البقرة/196

2/ المواقيت المكانية:

وكما للحج مواقيت زمانية محددة فكذلك له مواقيت مكانية يمارس فيها وتبدأ أعمال الحج منها والمواقيت المكانية تنقسم إلى قسمين:

1/ المواقيت المكانية العامة ونعني بها أن الحج لا تمارس شعائره وأعماله إلا في مكان معلوم وهو مكة المكرمة فلا يمكن ممارسة شعائر الحج في أي بقعة من الأرض لأن تعريف الحج هو قصد بيت اللّٰه الحرام بنية التعبد.

وهذا ما نطلق عليه الميقات المكاني العام عبر التاريخ الرسالي، فكما للحج ميقات زماني لكل الأمم فكذلك الميقات المكاني لكل الأمم هو مكة المكرمة ,

والتي فيها البيت الحرام قال تعالى:(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ) آل عمران/ 96, وقوله تعالى:(جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ) المائدة/٩٧.

وأما المواقيت المكانية الخاصة فهي مشروعة لأمة النبي صلى الله عليه وسلم وبواسطته عليه الصلاة والسلام تعرفنا عليها وتراعي كافة الاتجاهات التي يأتي منها الناس قاصدين الحج وهي على النحو التالي كما وردت في السنة النبوية:

1/ ذو الحليفة (آبار علي) وهي ميقات أهل المدينة ومن جاء من جهتها من غير أهلها, وهو المكان الذي أهل منه النبي صلى الله عليه وسلم للحج والعمرة.

2/الجحفة وتقع بين مكة والمدينة إلى الشمال الغربي، وهي ميقات أهل الشام ومصر وشمال إفريقيا وأوروبا الغربية ويحرم الناس حاليا من منطقة رابغ،

وتبعد عن الجحفة (١٧) كيلو وهذا مكروه والصحيح الإحرام من الجحفة كما هي السنة.

3/يلملم وهو ميقات أهل اليمن والهند وغيرها من شرق آسيا, ومن جاء من جهتها بحرا أو برا وهي تقع جنوب مكة.

4/ قرن المنازل ويقع شمال شرق مكة, وهو ميقات أهل نجد ومن جاء من جهتها من غير أهلها.

5/ ذات عرق وهي لأهل العراق وإيران والبلاد الشرقية ومن جاء من جهتها من غير أهلها وتقع شمال شرق مكة.

6/ من كان مسكنه بين هذه المواقيت وبين مكة خارج حدود الحرم يحرم من بيته أو من أقرب مسجد له.

7/ من كان من أهل مكة أو مقيما بها أو حولها داخل الحرم (منى / مزدلفة) فإنه يحرم من بيته إذا أراد الحج المفرد وأما إن كان إحرامه بالعمرة فعليه الخروج خارج منطقة الحرم (الجعرانة أو التنعيم) والإحرام من هناك ليجمع في إحرامه بين الحل والحرم.

وأدلة هذه المواقيت هي ما ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس: (وقت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل المدينة: ذا الحليفة, ولأهل الشام الجحفة, ولأهل نجد قرن المنازل, ولأهل اليمن يلملم)

وقد نسب توقيت أهل العراق (ذات عرق) لعمر بن الخطاب رضي الله عنه والصحيح أن ذلك مما وقته رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ثبت في الصحيح وقد يكون من موافقات عمر رضي الله عنه إن لم يبلغه ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم.

ويترتب على ما سبق من حديث عن المواقيت المكانية ما يلي:

ـ وجوب الإحرام من الميقات المكاني المحدد وعدم تجاوزه دون إحرام لقول النبي صلى الله عليه وسلم (لا تجاوزوا الوقت إلا بإحرام) الجامع الصغير للسيوطي, ومن تجاوزه فعليه العودة إليه أو لزمه الدم وهو ذبح شاة والتصدق بها لأهل مكة.

ـ من لم يمر بأي من المواقيت المكانية المذكورة فإنه يحرم من محاذاة أقرب ميقات له ولا يتجاوزه.

ـ المواقيت المكانية لأهلها المذكورين ولمن جاء من جهتها من غير أهلها إن قصد الحج أو العمرة.

ـ الأفضل الإحرام من الميقات المكاني وعدم التقدم عليه فقد كره الإمام مالك رحمه الله ذلك مع لزومه.

ـ ومن تجاوز الميقات لحاجة أو غرض معين دون قصد الحج أو العمرة ثم طرأت عليه نية الحج والعمرة فإنه يحرم من حيث هو.

ـ ولا يجوز لغير مكي أن يدخل مكة حلالا , وأقل ما عليه في دخولها عمرة إلا من كان من أهل القرى المجاورة المترددين بالحطب والفواكه وغيره.

ـ ويغتسل الحاج عند الميقات للإحرام وهو سنة حتى للحائض والنفساء ويستحب أن يكون إحرامه إثر صلاة يصليها قاصدا لذلك ولو كانت صلاة مكتوبة أو نافلة.

ـ ويتجرد من الثياب المخيطة ويلبس ثياب الإحرام , ثم يهل وهو أن يقول (لبيك اللهم لبيك, لبيك لا شريك لك لبيك, إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) ثم ينوي نسكه, وهو (حجا مفردا / أو عمرة متمتعا بها إلى الحج / أو القران وهو إدخال العمرة في الحج يجمعهما بإحرام واحد) ويستمر في التلبية ليلا ونهارا وفي كل مكان يصلح للتلبية.

وخلاصة القول فإن المواقيت الزمانية والمكانية يتجلى فيها معنى التعبد المحض والتسليم المطلق للشارع الحكيم, ولا مجال فيها لإعمال العقول بل الواجب فيها الطاعة والانقياد والقبول طلبا لمرضاة الله تعالى, وحصول الأجر والثواب, ولهذا كان من قواعد أهل العلم أن الأصل في العبادات التوقف ما لم يرد الدليل من الشارع فلا تعبُّد لله تعالى إلا بما شرع ولا يجوز عبادته بالبدع.

وهذا الضبط التعبدي في المواقيت المكانية والزمانية يتعلم منها المكلف الضبط والنظام في حياته كلها لتحقيق النجاح والفلاح, والبعد التام عن الفوضى والتسيب والارتجال, وبهذا يظهر جليا علاقة العبادات بالمعاملات فكلما ترسخت العبادات بجوهرها وحقيقتها في حياة الناس كلما انتظمت حياتهم المعاشية وصلح حالهم فتعميق العلاقة مع الحق محبة وانقيادا, تعزز العلاقة مع الخلق رحمة واحتسابا وهذا هو المقصود الأسمى للشريعة بتحقيق الاستخلاف البشري من خلال العبادة والعمران.

والله الهادي إلى سواء السبيل

العشر من ذي الحجة أعظم مواسم الطاعات

الشيخ / عارف بن أحمد الصبري

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه أجمعين

وبعد:

فإنَّ من فضل الله تعالى ونعمه الجليلة على عباده أن هيأ لهم المواسمَ العظيمة والأيامَ الفاضلة لتكون مغنمًا للطائعين وميدانًا لتنافس المتنافسين، ومن أعظم هذه المواسمِ وأجلِها ما شهد النبيُ صلى الله عليه وسلم بأنها أفضلُ أيام الدنيا على الإطلاق، ألا وهي أيامُ عشر ذي الحجة.

قال أبو عثمانَ النهديُ رحمه الله عن السلف: (كانوا يعظمون ثلاثَ عشراتٍ: العشرَ الأخيرَ من رمضان، والعشرَ الأول من ذي الحجة، والعشرَ الأول من المحرم".

وقدحرص السلف الصالح على اغتنامها والعمل فيها، فقد كان سعيدُ بن جبير رحمه الله إذا دخلت العشرُ اجتهدَ اجتهادًا حتى ما يكاد يُقدر عليه).

خي المسلم:

إن إدراك عشر ذي الحجة نعمة عظيمة من نعم الله تعالى على العبد، يَقْدُرُها حقَّ قدرها الصالحون المشَمِّرون، وعلى المسلم

استشعارُ هذه النعمة واغتنام هذه الفرصة, وذلك بأن يخصَّ هذه العشرَ بمزيد عناية, وأن يجاهد نفسه بالطاعة, وإن من فضل الله على عباده كثرة طرق الخير وتنوع سبل الطاعات ليدوم نشاط المسلم ويبقى ملازمًا لطاعة ربه وعبادته.

والمأمول:

من العلماء والدعاة والخطباء والأئمة وقيادات العمل الدعوي والمربين والآباء والأمهات وكل مسلمٍ مايلي:

1-التذكير بفضل ومكانة عشر ذي الحجة والأعمال المستحبة فيها.

2-تحقيق تعظيم الله تعالى وتعظيم شعائره, ولا سيما في مواسم الطاعات, وتهيئة النفوس لها.

3-الاستثمار الأمثل لكل لحظةٍ في العشر بكل ما يتيسر فعله من الأعمال الصالحة.

4-عمل برامج عملية لاستثمار هذه العشر المباركات.

تبدأ قبل العشر بخمسة أيام على الأقل.

تعميم خطبة جمعة معدة بعناية عن العشر على أن تكون آخر خطبة في شهر ذي القعدة.

وكذلك الدروس والمحاضرات والخواطر ومقاطع الفيديو والرسائل في الواتس وغير ذلك من وسائل التواصل الاجتماعي.

5-إعداد برامج عملية مزمنة لمجموعة من الأعمال الصالحة التي يمكن القيام بها في العشر, ونشرها والتواصي بها.

وكذلك عمل برامج تناسب الصغار لتعويدهم على الخير وفعل الطاعات.

وحتاماً:

لا ننسى أن كل عملٍ صالحٍ في عشر ذي الحجة هو أعظم عند الله مما يماثله من العمل في غيرها من الأوقات.

وأن كل من دعا إلى هدى كان له مثل أجرِ من عمله.

من مقاصد الحج

د. محمد يسري إبراهيم

جعل الله الحج من شعائر الله وعظمه, وأمر الخلق بالقصد إلى بيته الحرام وكرمه, وذكر شأن الحج في 70 آية من كتابه وفخمه, وقد أقام النبي صلى الله وسلم بالحج منار التوحيد, وذكَّر بأقواله وأفعاله وشعائره, ومشاعره.

كما أن الحج فريضة شرعية وعبادة ربانية فهو موكب الإسلام ومظهره, وهو لباب معناه وجوهره, ميقاته في أشهرٍ فضيلة, وأعماله في أيامٍ جليلة, ومنافعه وعوائده على المسلمين عميمة, حري بكل مسلمٍ أن يعد للحج عدته, وأن يتفقه بشرائعه وشعائره, وأن يعظم. مشاهده ومشاعره.

وفي هذا السبيل نبين مقاصد الحج ومصالحه, وآثاره وبركاته.

إذ في الحج تتجلى أركان الإسلام, وذلك توحيداً لله تعالى وتمجيداً وصلاةً قرب الكعبة وتعظيماً, وبذلاً لنفيس الأموال طيبة بها النفس, وإحرام يمتنع معه العبد عن كثير من الحلال في ليلة ونهاره, ويمتنع عن رغبته وشهواته, يرجو بذلك رضى رب الأرض والسماوات, يطلب فضل الحج وثوابه , والحج ركن الإسلام. وقد قال ربنا جل في علاه

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ سورة ال عمران 97

وقال سبحانه :

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ سورة البقرة 196, والحج المبرور من أفضل الأعمال, ففي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي العمل أفضل؟ قال إيمان بالله ورسوله, قيل ثم ماذا؟ قال الجهاد في سبيل الله قيل ثم ماذا؟ قال حج مبرور والحديث متفق عليه, والحج المبرور هو الذي يهدم ما كان قبله كما في حديث عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت أبسط يمينك لأبايعك, فبسط يمينه. قال فقبضت يدي قال مالك يا عمرو, قال أريد أن أشترط, قال تشترط بماذا قلت أن يغفر لي؟ قال أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله, وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها, وأن الحج يهدم ما كان قبله)رواه مسلم

فالحج تطهير من الذنوب, وقد قال أبو هريرة وهو يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) والحديث متفق عليه

والنبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن الحج المبرور جزاؤه الجنة كما في حديث أبي هريرة مرفوعا والحج المبرور ليس له جزاء ألا الجنة

والحج نوع من الجهاد بل هو من أفضل الجهاد كما في حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت يا رسول الله نرى الجهاد أفضل الأعمال أفلا نجاهد, قال لا, لكن أفضل الجهاد حج مبرور, والحج والعمرة كلاهما أمان من الفقر فقد قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحج المبرور جزاء إلا الجنة) رواه احمد والنسائي,

، والحجاج والعمار وفد الرحمن كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا أيضا, (الحجاج والعمار وفد الله عز وجل وزواره إن سألوه أعطاهم وإن استغفروا غفر لهم وإن دعوا استجيب لهم وإن شفعوا شفعوا) هكذا ينبغي أن يفهم المسلم فضل الحج، ثم إن الحج والحاج في ضمان الله وأمانه. ففي حديث أبي هريرة أيضا, أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ثلاثة في ضمان الله عز وجل، رجل خرج إلى مسجد من مساجد الله ورجل خرج غازيا في سبيل الله, ورجل خرج حاجا) .

المقصد الأول :

إن مقصد الحج الأول تجريد التوحيد لله رب العالمين مع البراءة من الشرك وأهله, إن توحيد الله تعالى ربا وإلها ومعبودا هو غاية خلق الخلق اجمعين. قال سبحانه ((وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)), والتوحيد هو أول ما بعث به الرسل أجمعين, وقد قال سبحانه ((وما أرسلنا من قبلك من رسول الله إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون.)) والتوحيد أول حق لله على العبيد, وهو أول ما يدعى إليه الخلق من الدين الحق. وقد قال النبي صلى الله عليه وآلة وسلم لمعاذ رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن داعيا ومبلغا: (إنك تقدم على قوم أهل كتاب, فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله فإذا عرفوا الله, فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم.)

نعم من مات لا يشرك بالله شيئا فقد نجى وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم ما الموجبتان؟ فقال من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار. التوحيد والبراءة من الشرك. هما الشرط لقبول الأعمال وسائر الطاعات وقد قال الله

وقد قال الله تعالى (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) وقال سبحانه عن أعمال الكفار، ((وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا)). إذاً فالتوحيد سبب القبول، والشرك سبب الرد وهبوط الأعمال وقد قال تعالى: ((ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين)) إذاً لأجل توحيد الله تعالى وإخلاص العبادة له وحده. قام سوق الجنة والنار.

وتعددت مظاهر العناية بالتوحيد، والبراءة من الشرك في الحج وظهرت هذه المظاهر بجلاء وأول ذلك الإخلاص الذي هو أصل كل عبادة وشرط قبول كل طاعة، وقد قال الله تعالى: ((وأتموا الحج والعمرة لله)) أي خالصةً ابتغاء وجه الله الكريم، وقد قال سبحانه: ((ألا لله الدين الخالص)) وبمجرد أن يدخل الحاج في النسك يشرع له أن يهل بالتوحيد قائلا لبيك اللهم حجه لا رياء فيها ولا سمعة وشعار الحج والحاج منذ أن يدخل في نسكه حاجا أو معتمرا أن يقول لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أهل بالتوحيد لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك، هذا الشعار ليس مختصا بالحاج المسلم وإنما هو شعار كل حاج من أتباع الآنبياء عليهم السلام من قديم كما قال سبحانه: ((ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الآنعام)) فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين. المعبود إله واحد لا شريك له، وقد تعددت في أعمال الحاج الإشارات إلى التوحيد، فمن ذلك قراءة سورتي الإخلاص والكافرون في ركعتي الطواف خلف المقام. وقد قال الله تعالى: ((واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى))، ومن ذلك قول

قول لا إله ألا الله وحدة لا شريك له له الملك وله الحمد هو على كل شيء قدير على الصفاء والمروة في كل شوط ثلاثا والدعاء يوم عرفة يكون بالتهليل لقول النبي صلى الله عليه وسلم (خير الدعاء دعاء يوم عرفه وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله ألا الله وحدة لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير)، وقد أبطل الله تعالى الأعمال الصالحة إذا اقترنت بالشرك ـ عياذا بالله ـ ولو كانت من أعمال الحاج أو الحج أو من عمارة البيت الحرام. قال سبحانه (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين) . والطواف بالبيت يذكر بهدم الأصنام التي كانت حوله حين دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة، وفي رمي الجمار يسن التكبير مع كل حصى فالله أكبر من كل شيء ومن كل معبود ومن كل ند وشريك، وقد كان نبينا صلى الله عليه وآلة وسلم يكبر على إثر كل حصاة وفي أيام التشريق يأتي ذكر الله وفي مقدمة الذكر التهليل والتكبير والدعاء والثناء كل ذلك فيه إعلاء لمنار التوحيد وقد قال سبحانه (فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا) ثم إن البراءة من الشرك وأهله أمر ملازم للإعلان بالتوحيد، وقد خص الله تعالى الحج بإعلان البراءة من الشرك ومن المشركين كما قال سبحانه: ((وآذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله))، وقد منع المشركين من قربان المسجد الحرام مطلقا فلا يمكنون من دخوله لا في حج ولا في غيره، وقد قال سبحانه إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وأمر النبي صلى الله عليه وسلم ألا يحج بعد العام مشرك،

, وهذا في إثر نزول هذه الآية والنبي عليه الصلاة والسلام أعلن البراءة من الشرك ومن الجاهلية بأوزارها وأوضارها كافة فقال في خطبته (ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وأن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة ابن الحارث كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل وربا الجاهلية موضوع وأن أول ربا أضعه ربا العباس ابن عبد المطلب فإنه موضوع كله والنبي صلى اللّٰه عليه وآله وسلم أعلن بمخالفة هدي المشركين في كل موضع من المواضع استطاع أن يخالفهم فيه ولهذا قال هدينا مخالف لهديهم, وهكذا كان النبي صلى اللّٰه عليه وسلم يعلم المسلمين فقال (خذوا عني مناسككم), كانت العرب تطوف بالبيت عراة إلا أهل مكة وقريش وما ولدت كانوا يلبسون وغيرهم يأخذون من قريش الملابس. ثم إن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم غير ذلك العرف الجاهلي حين أمر الصديق أن يؤذن في الناس في السنة التاسعة أن لا يحج بعد العام مشرك, ولا يطوف بالبيت عريان إذاً نكون قد وقفنا على المقصد الأول من مقاصد الحج وهو إقامة التوحيد والبراءة من الشرك,

المقصد الثاني :(إعلاء وحدة الأمة الموَحِدة)

إن الأمة الموحدة هي أمة واحدة وهي أمة ضاربة في شعاب الزمن مبدوءة بأول الأنبياء وأبي البشرية بآدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام تلك أمة دينها الإسلام الذي يعني الإستسلام لله تعالى بالتوحيد الخالص, ويعني الاتباع الكامل لرسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وآلة كما يعني البراءة من الشرك وأهله

هذاالإسلام دين كل نبي أرسله اللّٰه تعالى, وقد قال سبحانه إن الدين عند اللّٰه الإسلام وقال جل وعلا ومن بتغي غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين,

, وعلى لسان إبراهيم وإسماعيل قال جل وعلا (ربنا وجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم). وبالإسلام خاطب موسى عليه السلام قومه فقال (يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين)، وهكذا كل نبي دعا قومه إلى الإسلام العام, ثم أنزل الله تعالى على النبي الخاتم الرسالة الخاتمة المرضية وهي الإسلام الذي قال الله فيه اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا

كل ما تقدم يدل على أن موكب الأمة الموحدة هو موكب واحد متتابع فيه أنبياء الله تعالى بعقيدة واحدة, وأن اختلفت الشرائع فيما بينهم كلهم قال لقومه أعبدوا الله ما لكم من إله غيره, وقال سبحانه (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون,) وأن الأمة الإسلامية هي الوارثة لمسيرة التوحيد والوحدة والحج مظهر من أعظم مشاهد وحدة الأمة بعقيدتها, وعبادتها, فعبادة الحج على هذا النحو عبادة تعمق معاني الانتماء لأمة التوحيد التي ارتبطت بعبادة الحج من قديم وذلك أن هذا البيت قد دعا الله تعالى إليه الآنبياء كافة فحجوه ولبوه كما دعاهم نبي الله إبراهيم ودعاهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فأجابوا

قال سبحانه (وإذن في الناس بالحج يأتوا رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق)ونبينا صلى الله عليه وسلم قال للناس وهم واقفون بعرفة كونوا على مشاعركم فإنكم على إرث إبراهيم) عليه وعلى نبينا الصلاة السلام تجلت وحدة هذه الأمة الموحدة في حج الأنبياء لبيت الله الحرام كما قدمنا, وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم حين مر بوادي الأزرق (أي واد هذا؟ قال هذا وادي الأزرق قال كأني أنظر إلى موسى عليه السلام هابطاً من الثنية وله جؤار

إلى اللّٰه بالتلبية, ثم أتى على ثنية هرشة, فقال أي ثنية هذه ؟ قالوا ثنية هرشة قال كأني أنظر إلى يونس ابن متة عليه السلام على ناقة حمراء جعدة عليه جبة من صوف خطام ناقته خلبة وهو يلبي

إذا هذه صورة من صور الوحدة والتوحد في حجب بيت اللّٰه الحرام وقد قال عليه الصلاة والسلام والذي نفسي بيده لا يهلن ابن مريم بفج الروحاء حاجا أو معتمرا أو ليثنيهما هكذا كما روي عنه صلى اللّٰه عليه وسلم أنه قال في مسجد الخيف قبر 70 نبي

إذا الأمة الموحدة مجتمعة من قديم على أول بيت وضع للناس إن أول بيت وضع للناس الذي ببكة مباركا وهدى للعالمين)) والأمة الموحدة الخاتمة أشد اتحادا وتوحدا على حج بيت اللّٰه الحرام كما قال سبحانه ((فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم)وقال جل وعلا (جعل اللّٰه الكعبة البيت الحرام قياما للناس) إذا الحج شعار لوحدة الحجيج من كل حدب وصوب ومن كل لسان ولون وعرق يجتمعون كل عام لتعميق وحدة النسب والأصل الضارب في شعاب التاريخ.

قال سبحانه ((يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند اللّٰه أتقاكم)) وقال صلى اللّٰه عليه وسلم(يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى). لك الدين يا رب الحجيج جمعتهم لبيت طهور الساح والعرصات أرى الناس أصنافا ومن كل بقعة إليك انتهوا من غربة وشتات, تساووا فلا الأنساب فيها تفاوت لديك ولا الأقدار مختلفات.

نسأل اللّٰه تبارك وتعالى أن يوحد قلوب الأمة كما وحدها في حج بيته الحرام, ونسأله سبحانه وتعالى أن يعين العلماء على جمع الكلمة

الحَجُّ وَالجِهَادُ بَيْنَ الإِقَامَةِ وَالحِمَايَةِ

الشيخ / د . محمد عبد الكريم الشيخ

الحمد لله ربِّ العالمينَ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ، وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ.

أمَّا بعدُ؛ فإنَّ من دقائقِ النظمِ القرآنِيِّ أن يجمعَ بينَ العباداتِ في سياقٍ واحدٍ، ليكشفَ عن وحدةِ المقاصدِ الشرعيَّةِ وتكاملِها. ومن ذلكَ اقترانُ الحجِّ بالجهادِ في مواضعَ متعدِّدةٍ من القرآنِ، وهوَ اقترانٌ يثيرُ تساؤلًا منهجيًّا حولَ أوجهِ العلاقةِ بينَ عبادتينِ تبدوانِ مختلفتينِ في الظاهرِ، متلاقيتينِ في الجوهرِ.

ويهدفُ هذا المقالُ إلى الكشفِ عن هذهِ العلاقةِ من خلالِ النصوصِ القرآنيةِ والنبويَّةِ، مع توثيقٍ علميٍّ وتحليلٍ تفسيريٍّ.

أوَّلًا: ((الحجُّ والجهادُ في سورةِ البقرةِ – اقترانُ التشريعِ ووحدةُ المقصدِ))

قالَ تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة: 190]، ثُمَّ قالَ سبحانَهُ: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: 196]. يرى المفسِّرونَ أنَّ هذا الانتقالَ في السياقِ ليسَ عارضًا، بل يدلُّ على وحدةِ المقصدِ بينَ العبادتينِ. فقد بيَّنَ ابنُ كثيرٍ أنَّ الأمرَ بإتمامِ الحجِّ والعمرةِ يتضمَّنُ إخلاصَ العملِ للهِ تعالى وإكمالَهُ على وجهِهِ[1]، وهوَ المعنى ذاتُهُ الذي يقومُ عليهِ الجهادُ. كما بيَّنَ القرطبيُّ أنَّ

قولَهُ تعالى: ﴿لِلَّهِ﴾ يدلُّ على إخلاصِ القصدِ، وأنَّ الإتمامَ يقتضي الإتيانَ بالعبادةِ على وجهِها المشروعِ، وهوَ ما يفيدُ أنَّ العباداتِ تقومُ على أصلِ الانقيادِ وبذلِ الجهدِ في الامتثالِ[2]، وقرَّرَ الطبريُّ أنَّ قولَهُ: ﴿لِلَّهِ﴾ قيدٌ يفيدُ تصحيحَ القصدِ وإفرادَهُ[3].

ثانيًا: ((سورةُ الحجِّ – الجمعُ بينَ شعائرِ النسكِ ومشاهدِ البذلِ))

قالَ تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ [الحج: 27]، وقالَ أيضًا: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾ [الحج: 39].

وهنا يُؤَكِّدُ ابْنُ عَاشُورَ أَنَّ سُورَةَ الحَجِّ اشْتَمَلَتْ عَلَى أُصُولِ الشَّرِيعَةِ وَفُرُوعِهَا، وَمِنْ أَبْرَزِ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الحَجُّ وَالجِهَادُ لِمَا فِيهِمَا مِنْ إِظْهَارِ الدِّينِ وَإِقَامَتِهِ[4]. كَمَا يُقَرِّرُ الفَخْرُ الرَّازِيُّ أَنَّ فِي أَعْمَالِ الحَجِّ مِنَ المَشَقَّةِ وَتَرْكِ العَوَائِدِ مَا يُشْبِهُ حَالَ المُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ جِهَةِ مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ وَاحْتِمَالِ التَّكَالِيفِ[5].

ثالثًا: ((في السنَّةِ النبويَّةِ – الحجُّ المبرورُ في ميزانِ الأعمالِ))

عن أبي هريرةَ رضيَ اللَّهُ عنهُ أنَّ النبيَّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ: «إيمانٌ باللهِ ورسولِهِ، ثُمَّ جهادٌ في سبيلِ اللَّهِ، ثُمَّ حجٌّ مبرورٌ»[6]. كما قالتْ عائشةُ رضيَ اللَّهُ عنها: "يا رسولَ اللَّهِ، نرى الجهادَ أفضلَ العملِ، أفلا نجاهدُ؟ قالَ: «لكنَّ أفضلَ الجهادِ حجٌّ مبرورٌ»"[7]. وقد علَّقَ النوويُّ على ذلكَ بأنَّ الحديثَ يدلُّ على عِظَمِ منزلةِ الحجِّ، وأنَّهُ يقومُ مقامَ الجهادِ في حقِّ من لم يُكلَّفْ بهِ[8].

رابعًا: ((أوجهُ التشابهِ بينَ الحجِّ والجهادِ من خلالِ النصوصِ))

تتجلَّى أوجهُ الاشتراكِ بينَ الحجِّ والجهادِ في معانٍ جامعةٍ، منها:

- الإخلاصُ والتجرُّدُ للهِ تعالى.
- البذلُ والتضحيةُ بالنفسِ أو المالِ.
- مجاهدةُ النفسِ وتحمُّلُ المشاقِّ.
- تعظيمُ شعائرِ اللَّهِ وحمايةُ الدِّينِ.

وقد قرَّرَ أبو حامدٍ الغزاليُّ أنَّ مجاهدةَ النفسِ أصلُ كلِّ عبادةٍ، وهوَ متحقِّقٌ في الحجِّ كما هوَ في الجهادِ[9].

خامسًا: ((اختلالُ التوازنِ في الواقعِ المعاصرِ في ضوءِ مقصدِ حفظِ الدِّينِ))

إذا كانَ القرآنُ الكريمُ قد قرَّرَ وحدةَ المقصدِ بينَ الحجِّ والجهادِ، فإنَّ النظرَ في الواقعِ المعاصرِ يكشفُ عن اختلالٍ في تنزيلِ هذا التوازنِ، حيثُ يبرزُ اهتمامٌ ملحوظٌ بأداءِ شعيرةِ الحجِّ والعمرةِ، يقابلُهُ ضعفٌ كَبيْرٌ في استحضارِ مقتضياتِ الجهادِ بمعناهُ الشرعيِّ الشاملِ، ولا سيَّما في جانبِ الإعدادِ وحمايةِ الدِّينِ.

ومن منظورِ مقاصدِ الشريعةِ، فإنَّ هذا الخللَ لا يمكنُ فهمُهُ إلَّا في ضوءِ مقصدٍ كلِّيٍّ عظيمٍ، هوَ حفظُ الدِّينِ، الذي يُعدُّ في مقدِّمةِ الضروراتِ الخمسِ. وقد قرَّرَ أبو إسحاقَ الشاطبيُّ أنَّ حفظَ الدِّينِ يتحقَّقُ من جهتينِ: جهةِ الإيجادِ والإقامةِ، وذلكَ بإقامةِ شعائرِهِ كالصلاةِ والحجِّ. وجهةِ الحمايةِ والصيانةِ، وذلكَ بدفعِ ما يهدِّدُهُ من اعتداءٍ أو اندثارٍ[10].

وعليهِ، فإنَّ الحجَّ يندرجُ أساسًا ضمنَ جانبِ إقامةِ الدِّينِ وإظهارِهِ، بما فيهِ من تعظيمٍ للشعائرِ وإحياءٍ لمعاني العبوديَّةِ الجامعةِ، بينما يندرجُ الجهادُ ضمنَ جانبِ حمايةِ الدِّينِ وصيانتِهِ، بما يتضمَّنُهُ من دفعِ العدوانِ، وحراسةِ الجماعةِ، وتحقيقِ منعةِ الأمَّةِ. وقد أكَّدَ أبو حامدٍ الغزاليُّ هذا المعنى حينَ بيَّنَ أنَّ مقصودَ الشرعِ من الجهادِ هوَ "حفظُ نظامِ الدِّينِ وصيانتُهُ من الاختلالِ"[11]، وهوَ ما يجعلُهُ مكمِّلًا لا منفصلًا عن سائرِ العباداتِ.

وفي ضوءِ هذا التأصيلِ، يتَّضِحُ أنَّ الاقتصارَ على تعظيمِ جانبِ الشعائرِ – كالحجِّ – دونَ استحضارِ جانبِ الحمايةِ – كالإعدادِ والنصرةِ

– يُفضي إلى خللٍ في تحقيقِ مقصدِ حفظِ الدِّينِ في شموليَّتِهِ. إذ إنَّ الدِّينَ لا يُحفظُ بمجرَّدِ أدائِهِ شعائريًّا، بل يحتاجُ إلى قوَّةٍ تصونُهُ، ووعيٍ يحميهِ، وأمَّةٍ تنهضُ بمسؤوليَّاتِهِ.

وَقَدْ أَشَارَ أَهْلُ العِلْمِ إِلَى أَنَّ الجِهَادَ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى صُورَةِ القِتَالِ، بَلْ يَشْمَلُ مَعَانِيَ مُتَعَدِّدَةً مِنَ البَذْلِ وَالنُّصْرَةِ، كُلٌّ بِحَسَبِ قُدْرَتِهِ وَاسْتِطَاعَتِهِ، وَهُوَ مَا يَجْعَلُ التَّقْصِيرَ فِيهِ تَقْصِيرًا فِي جَانِبٍ عَظِيمٍ مِنْ جَوَانِبِ الدِّينِ. وَيُؤَكِّدُ هَذَا المَعْنَى مَا قَرَّرَهُ العُلَمَاءُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾، مِنْ أَنَّ الإِعْدَادَ يَشْمَلُ كُلَّ أَسْبَابِ القُوَّةِ المَادِّيَّةِ وَالمَعْنَوِيَّةِ.

وَفِي هَذَا السِّيَاقِ، تَبْرُزُ قَضَايَا مُعَاصِرَةٌ تُمَثِّلُ نَمَاذِجَ وَاضِحَةً لِحَاجَةِ الأُمَّةِ إِلَى اسْتِعَادَةِ هَذَا التَّوَازُنِ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا يَجْرِي فِي فِلَسْطِينَ وَغَيْرِهَا مِنْ مَوَاطِنِ مُعَانَاةِ المُسْلِمِينَ، حَيْثُ تَشْتَدُّ الحَاجَةُ إِلَى اسْتِحْضَارِ مَعَانِي النُّصْرَةِ وَالإِعْدَادِ، جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ مَعَ المُحَافَظَةِ عَلَى الشَّعَائِرِ التَّعَبُّدِيَّةِ.

ومن هنا، فإنَّ ما يُلاحظُ من بذلٍ كبيرٍ في نفقاتِ الحجِّ والعمرةِ هوَ بلا شكٍّ مظهرٌ محمودٌ، يدلُّ على بقاءِ جذوةِ التديُّنِ وتعظيمِ الشعائرِ، غيرَ أنَّ هذا ينبغي أن يُستكمَلَ بوعيٍ مقاصديٍّ يُدرِكُ أنَّ حفظَ الدِّينِ يتطلَّبُ أيضًا القيامَ بواجباتِ الإعدادِ والنصرةِ، كلٌّ بحسبِ استطاعتِهِ وموقعِهِ.

وقد نبَّهَ ابنُ تيميَّةَ إلى أنَّ "قوامَ الدِّينِ بالكتابِ الهادي والسيفِ الناصرِ"[12]، في إشارةٍ بليغةٍ إلى تلازمِ جانبِ الهدايةِ (الشعائرِ والعباداتِ) وجانبِ الحمايةِ (القوَّةِ والدفعِ)، وأنَّ اختلالَ أحدِهِما يؤثِّرُ في تمامِ حفظِ الدِّينِ.

وعلى هذا، فإنَّ استعادةَ التوازنِ بينَ الحجِّ والجهادِ ليستْ مجرَّدَ مسألةٍ وعظيَّةٍ، بل هيَ ضرورةٌ مقاصديَّةٌ، تندرجُ تحتَ تحقيقِ

الكلِّيَّاتِ الشرعيَّةِ, وبخاصَّةٍ مقصدُ حفظِ الدِّينِ في بُعديهِ: الإقامةِ والحمايةِ. كما أنَّ هذا الفهمَ يُسهمُ في توجيهِ وعيِ الأمَّةِ نحوَ شموليَّةِ التكليفِ, بحيثُ لا تنفصلُ العبادةُ الفرديَّةُ عن المسؤوليَّةِ الجماعيَّةِ. وتبرزُ في هذا السياقِ قضايا معاصرةٌ تمثِّلُ ساحاتِ اختبارٍ حقيقيَّةٍ لهذا التوازنِ, حيثُ تشتدُّ الحاجةُ إلى استحضارِ معاني النصرةِ والإعدادِ, جنبًا إلى جنبٍ مع المحافظةِ على الشعائرِ التعبُّديَّةِ, بما يحقِّقُ التكاملَ الذي قرَّرَهُ القرآنُ الكريمُ في جمعِهِ بينَ الحجِّ والجهادِ.

ختامًا ..

يتبيَّنُ أنَّ اقترانَ الحجِّ بالجهادِ في القرآنِ الكريمِ يعكسُ وحدةَ المقصدِ, حيثُ يجتمعانِ في تحقيقِ كمالِ العبوديَّةِ للهِ تعالى من خلالِ البذلِ والتجرُّدِ. فالحجُّ جهادٌ بلا قتالٍ ونكايةٍ, والجهادُ حجٌّ في ميدانِ الذَّوْدِ والحِمايةِ, وكلاهما طريقٌ إلى تزكيةِ النفسِ وإعلاءِ كلمةِ اللّهِ في البَرايَا .

الحواشي السفلية

1- تفسيرُ ابنِ كثيرٍ, أبو الفداءِ إسماعيلُ بنُ كثيرٍ, تحقيقُ: سامي سلامةَ, دارُ طيبةَ, الرياضُ, ط2, 1999م, ج1, ص531.

2- الجامعُ لأحكامِ القرآنِ, محمَّدُ بنُ أحمدَ القرطبيُّ, دارُ الكتبِ المصريَّةِ, القاهرةُ, 1964م, ج2, ص365.

3- جامعُ البيانِ, محمَّدُ بنُ جريرٍ الطبريُّ, تحقيقُ: أحمد شاكر, مؤسَّسةُ الرسالةِ, ط1, 2000م, ج4, ص150.

4- التحريرُ والتنويرُ, محمَّدُ الطاهرُ بنُ عاشورَ, الدارُ التونسيَّةُ, 1984م, ج17, ص230.

5- مفاتيحُ الغيبِ, فخرُ الدِّينِ الرازيُّ, دارُ إحياءِ التراثِ العربيِّ, بيروتُ, ج23, ص45.

6- صحيحُ البخاريِّ، محمَّدُ بنُ إسماعيلَ البخاريُّ، دارُ طوقِ النجاةِ، حديثُ رقمِ 26؛ وصحيحُ مسلمٍ، مسلمُ بنُ الحجَّاجِ، دارُ إحياءِ التراثِ العربيِّ، حديثُ رقمِ 83.
7- صحيحُ البخاريِّ، حديثُ رقمِ 1520.
8- شرحُ النوويِّ على مسلمٍ، يحيى بنُ شرفٍ النوويُّ، دارُ إحياءِ التراثِ العربيِّ، ج2، ص88.
9- إحياءُ علومِ الدِّينِ، أبو حامدٍ الغزاليُّ، دارُ المعرفةِ، بيروتُ، ج3، ص7.
10- الموافقاتُ، أبو إسحاقَ الشاطبيُّ، تحقيقُ: عبدِ اللّٰهِ دراز، دارُ المعرفةِ، بيروتُ، ج2، ص8–10.
11- المستصفى، أبو حامدٍ الغزاليُّ، دارُ الكتبِ العلميَّةِ، بيروتُ، ج1، ص286.
12- مجموعُ الفتاوى، أحمدُ بنُ عبدِ الحليمِ ابنُ تيميَّةَ، مجمعُ الملكِ فهدٍ، ج28، ص394.

الحج شعيرة تؤسس لنهضة الأمة

الشيخ /مضر أبوالهيجاء

قال الله تعالى:

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: 27].

يعد الحج خامس أركان الإسلام التي بني عليها هذا الدين العظيم، وهو شعيرة تتجاوز في دلالاتها البعد التعبدي الفردي لتؤسس لبعد جماعي حضاري، يشكل أساسا لنهضة المسلمين. فجميع الأركان الأربعة الأخرى؛ الشهادتان، والصلاة، والزكاة، والصيام، يمكن للمسلم أن يؤديها منفردا، أما الحج فلا يتحقق إلا في إطار جماعي منظم، ولا تقبل فيه الصيغة الفردية المنعزلة، الأمر الذي يدل على خصوصية هذه الشعيرة وتميزها بارتباطها المباشر بعموم الأمة.

لقد بعث الله الرسل والأنبياء لإقامة دينه في الأرض، وتحقيق عبادة الله وحده، كما قال سبحانه:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56].

إن عبادة الحج الأكبر لا تقتصر على الشعائر الفردية، بل هي منظومة شاملة تشمل العقيدة والشريعة والسلوك، وتصطبغ بها جميع مناحي الحياة، وهو ما لا يمكن تحقيقه إلا ضمن جماعة مؤمنة تجسد مفهوم الأمة.

ولأن الإسلام دين حياة، فإن عمارة الأرض تعد من أوجب واجبات المسلم، فردا كان أو جماعة أو دولة. وهذه العمارة لا تستقيم ولا تنهض إلا بتوفر شروطها من الوحدة والقوة في إطار عمل جماعي، لاسيما في ظل وجود مشاريع باطل تسعى إلى تخريب الحق وتغييب نوره، كما قال تعالى:

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: 8]

الحج الأكبر تجسيد لمفهوم الأمة الواحدة

إن تحقيق مفهوم الأمة في الواقع شرط أساس لنهضتها، إذ إن صلاح جماعة محدودة لا يرقى إلى مستوى النهضة الشاملة التي يستهدفها الإسلام، والتي تقوم على تحرير الإنسان من عبودية غير الله، وإفراد العبودية له، ونقله من ضيق الدنيا إلى سعتها في الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام. وهذا يقتضي وجود أمة متماسكة، وهو ما تعيقه ظروف الواقع الموضوعي، وتقاومه مشاريع الباطل، وتسعى لتشويهه فلسفات الجاهلية وأفكارها المعاصرة كما السابقة، مما يستدعي وجود فئة مؤمنة واعية تسعى لتحقيقه، مؤمنة بإمكانية ذلك عمليا من خلال اجتماع المؤمنين بالبيت الحرام في مشهد الحج وهم قادمون من كل أصقاع الدنيا.

وهنا تتجلى إحدى أهم أسرار الحج؛ إذ يجتمع المسلمون من كل أنحاء العالم في مكان واحد وزمان واحد, بعد بذل الجهد والمال من قبل الفقراء قبل الأغنياء, تحقيقا للشرط الأول في تكوين الأمة, وهو الاجتماع اللازم. أما الشرط الثاني, فيتمثل في التقاء النخب الواعية من العلماء والدعاة وورثة الأنبياء, ممن يحملون هم مشروع النهوض بالأمة, فيتدارسون واقعها ويستشرفون مستقبلها.

دعاوى قاصرة تقلل من أهمية الحج

إن التقليل من شأن الحج أو الدعوة إلى تعطيله بدوافع سياسية وبناء على مواقف تجاه أنظمة مرحلية, أو بناء على اجتهادات اقتصادية توجه أموال الحج إلى مجالات وأماكن أخرى لتسد حاجات الناس, هو طرح قاصر لا يدرك أبعاد هذه الشعيرة.

إن الحج مقصود لذاته تعبدا, ومقصود لغيره باعتباره وسيلة لإحياء مفهوم الأمة وبعثها الحضاري. والفرق كبير بين معالجة الاحتياجات الآنية وبين بناء منظومة مستدامة تنهض بالأمة وتقيلها من عثراتها.

الحج بين أدوار الهدم والبناء

كما أن الحج لا يقتصر على بناء الحق والخير, فإنه يؤدي دورا في هدم أنماط الباطل, إذ يضعف النزعات القطرية والقبلية والجهوية التي تفكك الأمة, ويعيد توجيه الولاء والانتماء نحو رابطة الإسلام الجامعة, ويحقق واقعا لرابطة الأخوة العقدية الإسلامية. فمع تزايد هذه النزعات في العصر الحديث, يصبح الحج أداة عملية لإعادة ترسيخ وحدة الأمة.

الحج شعيرة تفكك جاهلية الانتماء القطري

ومن أخطر ما يسهم الحج في معالجته, تلك التصورات التي تدعي إمكانية إقامة الدين في إطار ضيق محصور في حدود القبيلة أو الوطن, دون اعتبار لوحدة الأمة أو التفاعل مع قضاياها. فقد أفرزت هذه التصورات مواقف سياسية واجتماعية متناقضة مع مقاصد الإسلام, إذ تقدم المصالح المحلية الضيقة على حساب مصالح الأمة الكبرى.

إن الحج ليس مجرد شعيرة ذات طقوس, بل هو مشروع حضاري متكامل, يحيي الأمة, ويوقظ وعيها, ويعيد توجيهها نحو رسالتها. فهو يبني معاني الوحدة والتكافل, ويهدم مظاهر التفرق والأنانية, ويعزز الانتماء إلى الأمة الإسلامية.

وفي الختام, فإن الحج ركن عظيم من أركان الإسلام, يؤسس لنهضة الأمة من خلال تجسيدها عمليا في صورة اجتماع عالمي سنوي, يجمع المسلمين على رسالة التوحيد, ويبني بينهم رابطة الأخوة الإسلامية محل الروابط الجاهلية القطرية والوطنية, ويحقق في آن واحد عملية بناء للحق والخير, وهدما لمظاهر الشرك والجاهلية, بما يمهد لتحقيق وحدة الأمة القائمة على الأخوة الإسلامية الصادقة.

إشراقات مقاصدية في ضوء آية {لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ}

الشيخ /د. هشام السنوسي

يُعدُّ الحج في دين الإسلام العبادة الجامعة والاجتماع الإسلامي الأكبر في أيام معدودة, وهو الركن الخامس منه, الذي تبرز فيه أسمى مشاهد التلاحم بين الأرواح في لهفتها الإيمانية وبين الحقائق المادية في تطبيقاتها العملية, إذ هو عبادةٌ بدنية مالية مركبة اختص الله ءبها المسلمون عن غيرهم, امتزجت هذه العبادة بين استفراغ الجهد وبذل غاية الوسع في النفقة, فلا يكتمل بناؤها إلا بتكاملهما معاً.

وقد عبّر النص القرآني عن هذه المعاني العميقة في إشراقة قرآنية بليغة في قوله تعالى: {لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ}(1)؛ حيث جاء التنكير في كلمة منافع ليفيد الإطلاق والعموم, ناقلاً شعيرة الحج من إطار الشعيرة التعبدية المجردة إلى فضاءات المصلحة الإسلامية الواسعة العظيمة,

1- [الحج: 28]

ويؤكد فقهاء المذاهب ومنهم المالكية في هذا المساق أن تقديم المنافع في النص القرآني لم يكن عرضاً, بل جاء ليضم بين دفتيه كل ما يصلح به حال العباد في معايشهم ومعادهم ــ أي دنياهم وآخراهم, محققاً بذلك حالة الاتزان بين عمارة الأرض وسلامة الأرواح.

وفي تقرير هذه الرؤية الشاملة المتكاملة, يقول الإمام القرطبي المالكي ــ رحمه الله: "وقيل هي التجارة, وقيل هو ما يغتفر من الذنوب, والصحيح أنه يعم الجميع من منافع الدنيا والآخرة"(1).

طيب النفقة وحلول البركة المالية

لقد تحدث الفقهاء بأهمية بالغة على طيب نفقة الحاج في الحج؛ لأن المال هو زاد الرحلة ومدَدُها, فقد جاء في الحديث النبوي: "إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إِلا طَيِّبًا, وإذا خرج الحاج بنفقة خبيثة وضع رجله في الغرز فنادى: لبيك, ناداه ملك: "لا لبيك ولا سعدك, زادك حرام ونفقتك حرام وحجك مأزور غير مبرور"(2).

سُئل الإمام مالك ــ رحمه الله عن الرجل يحج بمال فيه شبهة, فكان يرى أن حج الفريضة يجزئه مسقطاً للفرض, لكنه يحرمه مرتبة (الحج المبرور), ويقول القاضي عياض من المالكية ــرحمه الله: "أجمعوا على أن الحلال شرط في كمال العبادة لا في صحة الأداء للفريضة" (3).

إن اشتراط إنفاق الحاج في الحج من نفقة طيبة هي مقصودة من الشارع لتطهير النفوس, ولنفي الفقر.

1- الجامع لأحكام القرآن,القرطبي, ط دار الكتب المصرية,القاهرة 1964م, ج 12, ص 40

2- صحيح مسلم, دار إحياء التراث العربي — بيروت, المجلد 2, ص 703

3 - إكمال المعلم بفوائد مسلم, القاضي عياض, دار الوفاء مصر, ج 3, ص 541

ومن زاوية النظرة الاقتصادية، فإن المداومة على تكرار الحج والعمرة هو استثمار في الدنيا لا استهلاك فيه رجاء المثوبة من عند الله بالآخرة، يقول النبي ﷺ: "تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ"(1)، وفي هذا الموضع يَلحظ الفقهاء أن الشريعة الإسلامية جعلت الحج (علاجًا للفقر)، فبقدر ما ينفق الحاج نفقة، يفتح الله له من أبواب الرزق الشيء المادي المحسوس، ومما يحرك عجلة الاقتصاد ودورانها ليعم الخير وكل ذلك ببركة الامتثال لأوامره.

الحج ابتغاء الفضل وتفاعل صفقات الأسواق

نزلت هذه الآية الكريمة: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ} (2)، لتؤكد أن موسم الحج هو سوق عالمي ونشاط تجاري متبادل في تلك البقعة المباركة، يتبادل الناس فيه التجارات لتحقيق المنافع، يقول الإمام القاضي ابن العربي المالكي -رحمه الله: "إن الله تعالى جعل الحج سوقاً للآخرة وسوقاً للدنيا، فمن قصد المتجر ناله، ومن قصد العبادة نالها" (3).

ويمثل الحج نموذج (الطلب الفعال) كما يسميه الاقتصاديون ويعرفونه في نظرياتهم الاقتصادية، وهو لا يعبر عن مجرد طلب الشراء، إنما عن القدرة الفعلية ونية الشراء التي تتحول إلى صفقات تجارية بالأسواق المتنوعة، وهذا هو حجز الزاوية في المعنى (الكينزي الاقتصادي).

1-سنن الترمذي، دار الغرب الإسلامي، ج 2، ص 167.

2- [البقرة: الآية 198]

3-أحكام القرآن، ابن العربي، دار الكتب العلمية، ج 3، ص 288

لقد عَدَّ الإمام الشاطبي- رحمه الله - هذه المنافع ضمن الحاجيات التي ترفع الضيق عن الأمة وتنعش اقتصادياتها البينية وتقويه وتنميه, وفي هذا يقول - رحمه الله - : "المنافع المذكورة في الآية تنصرف إلى ما يحتاج إليه الناس في إقامة حياتهم وتوسعة أرزاقهم" (1).

التكافل الإسلامي المالي والتبعات المالية في شعيرة الهدي

قال الله تعالى: {فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ} (2), هذه الآية تنقل الأضحية من طقوس تعبدية إلى مشروع أمن غذائي تطبيقي عابر للحدود, وأداة فعالة لنفع الفقير وإدخال السرور عليه بتأمين غذائه, يقول الإمام ابن رشد الحفيد - رحمه الله: "المقصد من الهدي إراقة الدماء تعبداً, ومواساة الفقراء إحساناً" (3), ويقول ابن عاشور - رحمه الله -: "إن إيجاب الإطعام من الهدي والأضاحي هو تشريع لإغناء الفقراء في يوم العيد, ليشاركوا الأغنياء في فرحة الوقت وفضل الرزق, وهو مقصد اجتماعي عظيم" (4).

يربي الحج في نفس المسلم تحمل مسؤولية أخطائه المالية, فمن ارتكب محظوراً شرعيًا وجبت عليه فدية: {فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ} (5), هذا التشريع الإلهي يربي حس المسؤولية المالية ويوقظ أجهزة الإنذار المبكرة, ويضع سلوك الفرد المسلم تحت طائلة التعويض المالي عند ارتكاب أي خطأ,

---

1-التحرير والتنوير, لابن عاشور, الدار التونسية للنشر, ج 17, ص 215-216

2- [الحج, الآية 28].

3-بداية المجتهد ونهاية المقتصد, ط دار السلام, ابن رشد, ج 1, ص 412

4-مقاصد الشريعة الإسلامية —, ابن عاشور, دار النفائس — ص 412.

5- [البقرة: الآية 196]

يقول الإمام المازري - رحمه الله - "الفدية في الحج شرعت جبراً لما فات من كمال النسك, ليعتاد المكلف أن لكل نقصٍ بدلاً, ولكل خطأٍ كفارة" (1).

الاستطاعة المالية واستقلالية الذمة

أجمع آئمة المالكية وغيرهم على أن من شروط الاستطاعة أن يكون المال فاضلاً عن مؤنته ومؤنة عياله, وذلك لأن الشريعة الإسلامية لم تقصد تكليف العباد بما يرفع عنهم وصف الاستغناء أو يوقعهم في ذل الحاجة, وفي هذا يقول الإمام خليل المالكي - رحمه الله - في مختصره: "بشرط الاستطاعة وهي إمكان الوصول بلا مشقة فادحة, وزاداً وراحلة فاضلاً عن دين" (2).

وجاء التشديد لديهم في مسألة الديون بصورة أخص, حيث يقررون أن الخروج من المظالم والديون مقدم على النوافل والقرُبات.

ويرون أيضا أن قضاء الدين آكد من أداء حج التطوع, فالأول متعلق بحق العباد وأساسه المشاحة, والثاني متعلق بحق الخالق سبحانه وأساسه المسامحة, ولما دلت عليه النصوص الصريحة والصحيحة من الإغلاظ في شأن الديون وردها إلى أصحابها, وفي هذا يقول الإمام الدردير- رحمه الله: "تقديم حق الآدمي في الديون على حق الله تعالى في الحج؛ لأن حق الآدمي مبني على الضيق والشح, وحق الله مبني على المسامحة" (3), فإذا كانت الشهادة وهي أرفع المقامات عند الله وأجلها على الإطلاق, لا تكفر عن صاحب الدين دينه, فكيف بالحج!,

---

1-المعلم بفوائد مسلم, للمازري, الدار التونسية للنشر, ج 2, ص 115.
2-مختصر خليل, طبعة دار الحديث – القاهرة, ص 73
3-الشرح الكبير, للدردير, دار المعارف, ج2, ص42

فإذا كانت الشهادة وهي أرفع المقامات عند الله وأجلها على الإطلاق، لا تكفر عن صاحب الدين دينه، فكيف بالحج!، جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: "يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلا الدَّيْنَ"(1)، وإذا مات في غير شهادة حبست روحه وحرم الجنة حتى يقضى دينه، قال ﷺ: "نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْه (2)، وامتنع أهل الفضل من الصلاة عليه إرشادا للناس لخطورة أمر الدين، فعن جابر بن عبد الله قال: توفي رجل، فغسلناه وكفناه وحنطناه، ثم أتينا به رسول الله ﷺ يصلي عليه.. فقال: "أعليه دين؟" قلنا: ديناران، فانصرف.. (حتى كفلهما أبو قتادة فصلى عليه) (3).

1-أخرجه مسلم في صحيحه — دار إحياء التراث العربي، بيروت — ج 3، ص 1501، 1886.
2-أخرجه الترمذي في سننه — ج 3، ص 389، حديث رقم 1078.
3-أخرجه النسائي في السنن الصغرى — ج 4، ص 62، حديث رقم 1960.

إلى عرفات اللّٰه يا خير زائر

أ. أحمد شوقي " رحمه اللّٰه "

إِلى عَرَفاتِ اللّٰهِ يا خَيرَ زائِرٍ
وَشانيكَ نيراناً مِنَ الجَمَراتِ

عَلَيكَ سَلامُ اللّٰهِ في عَرَفاتِ
يُحَيّيكَ طَهَ في مَضاجِعِ طُهرِهِ

وَيَومَ تُوَلّى وُجهَةَ البَيتِ ناضِراً
وَيَعلَمُ ما عالَجتَ مِن عَقَباتِ

وَسيمَ مَجالي البِشرِ وَالقَسَماتِ
وَيُثني عَلَيكَ الراشِدونَ بِصالِحٍ

عَلى كُلِّ أُفقٍ بِالحِجازِ مَلائِكٌ
وَرُبَّ ثَناءٍ مِن لِسانِ رُفاتِ

تَزُفُّ تَحايا اللّٰهِ وَالبَرَكاتِ
لَكَ الدينُ يا رَبَّ الحَجيجِ جَمَعتَهُم

إِذا حُدِيَت عيسُ المُلوكِ فَإِنَّهُم
لِبَيتٍ طَهورِ الساحِ وَالعَرَصاتِ

لِعيسِكَ في البَيداءِ خَيرُ حُداةِ
أَرى الناسَ أَصنافاً وَمِن كُلِّ بُقعَةٍ

لَدى البابِ جِبريلُ الأَمينُ بِراحِهِ
إِلَيكَ اِنتَهَوا مِن غُربَةٍ وَشَتاتِ

رَسائِلُ رَحمانِيَّةُ النَفَحاتِ
تَساوَوا فَلا الأَنسابُ فيها تَفاوُتٌ

وَفي الكَعبَةِ الغَرّاءِ رُكنٌ مُرَجِّبٌ
لَدَيكَ وَلا الأَقدارُ مُختَلِفاتِ

بِكَعبَةِ قُصّادٍ وَرُكنِ عُفاةِ
عَنَت لَكَ في التُربِ المُقَدَّسِ جَبهَةٌ

وَما سَكَبَ الميزابُ ماءً وَإِنَّما
يَدينُ لَها العاتي مِنَ الجَبَهاتِ

أَفاضَ عَلَيكَ الأَجرَ وَالرَحَماتِ
مُنَوِّرَةٌ كَالبَدرِ شَمّاءُ كَالسُها

وَزَمزَمُ تَجري بَينَ عَينَيكَ أَعيُناً
وَتُخفَضُ في حَقٍّ وَعِندَ صَلاةِ

مِنَ الكَوثَرِ المَعسولِ مُنفَجِراتِ
وَيَرمونَ إِبليسَ الرَجيمَ فَيَصطَلي

رابطة علماء المسلمين في سطور

رابطة علماء المسلمين هي تجمع علمي منظم من علماء المسلمين، فإنها أكملت منذ تأسيسها سبعة عشر عاماً، منذ المؤتمر التأسيسي الجامع بالكويت بتاريخ: 5 صفر 1431 هـ الموافق 20 يناير 2010 م.

قامت الرابطة إسهامًا منها في توحيد صفوف المسلمين وجمع كلمتهم، من خلال جمع طاقات العلماء لتقديم حلول شرعية للقضايا المعاصرة وفق منهج أهل السنة والجماعة.

ولتكون بذلك إضافة، في إيجاد مرجعية عالمية راشدة، لإحياء دور العلماء في إعادة نهضة الأمة المسلمة.

هذا وقد قام على تأسيسها علماء أجلاء، وفقهاء حكماء، من أمثال الشيخ العلامة عبد الرحمن عبد الخالق من الكويت، والشيخ العلامة عمر الأشقر من الأردن، والشيخ الدكتور/ علي السالوس من مصر، والشيخ الدكتور/ الأمين محمد حاج من السودان (الرئيس الأوّل للرابطة)، رحمهم الله تعالى، ولا يزال يقوم عليها علماء أفاضل من بلدان شتى في آسيا وإفريقيا وأوروبا وأمريكا.

رئيس الرابطة الحالي:

الدكتور / محمد العبدة. من سوريا.

والأمين العام الدكتور / محمد عبد الكريم الشيخ. من السودان.

أبرز أهداف رابطة علماء المسلمين:

1. المساهمة في توحيد كلمة علماء الأمة وإبراز مكانتهم بين المسلمين.
2. استنباط الأحكام الشرعية للحوادث والنوازل وللقضايا المعاصرة، ورد الشبهات حول الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم وفق منهج علمي وبيان ذلك للمسلمين
3. كشف المخططات المعادية للإسلام والتصدي لها بشتى الوسائل المشروعة.
4. تحذير الأمة وحمايتها من المناهج والعقائد المنحرفة والتيارات الهدامة، وبيان موقف الإسلام منها بالأدلة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة
5. التواصل مع الهيئات الرسمية والمؤسسات العلمية والدعوية والإعلامية والخيرية فيما يحقق وعي الأمة ونهضتها

مجلة
بينات
العدد 15
مجلة غير دورية تصدر عن
رابطة علماء المسلمين
رابطة علماء المسلمين
Muslim Scholars Association